
LASHEEN
WIFE IS FIRST TO KNOW
شيرين هنــائي
لاشين
الكتاب الثاني عشر - الزوجة أول من يعلم
كتوبيا
KOTOPIA
PUBLISHING
HOUSE
روايــة

مقدمة

أنا.. لاشين.

لا شك أنها الحقيقة الأهم التي يجب عليك استيعابها، إلى جانب كوني الأول، والأخير. ولتحمد الله على هذا. فالعالم لن يتحمل معرفة حقيقة ما مررت أنا به، ولا ما تسببت فيه، ولا ما أصبحت عليه.

أي لاشين آخر لا يُعوّل عليه، سواءً كان من عائلة الدجّال الأشهر في طنطا: الشيخ لاشين، أو كان من خارجها. أي لاشين آخر عليه أن يتوارى حتى تنتهي الأزمة التي تسببت فيها عمدًا وبلا قصد.

هل يستأهل الأمر أن أحكي؟ لم أدرك ضرورة ذلك إلا مُتأخرًا، وكأنه لا زال بداخلي ما يشفق على البشر ومصيرهم لو ظلوا على جهلهم. وأحيانًا ما أرى أن الجهل نعمة، فلو أنّ رصاصة خرجت من مسدس لتصيبك بعد كسر من الثانية، فبماذا ستستفيد لو عرفت أنها انطلقت؟ لا وقت للفرار، ولا لصلاة أخيرة.

لكنني سأحكي.. كفعل بشري أخير ولأنني وعدت سهير زاهر سأحكي.

***

مقدمة ثانية مضطر لها

(لا تقرأها إن كنت متابعًا جيدًا للسلسلة)

طُلِب مني على جروب دار النشر البرتقالية أن أكتب ملخصَ الكتب السابقة كي يستطيع من لا يتابع كل الكتب، ومَن يملك ذاكرة كذاكرة الأسماك أن يتذكر ما حدث لنا من قبل، لكني أعتقد أنّ بعض الهوامش التي تفسر الأحداث السابقة في كل رواية كافية، ولذلك أرى أن ملخصَ للعدد الأول من السلسلة سيكون أفضل للمتابعة.

أنا لاشين، ابن دجال شهير في موالد طنطا، اكتشفت بعد موت أبي أنه أورث أخي الحبيب الوحيد «أنيس» عهد الدجالين، وهو عهد بين الساحر والشياطين، بموجبه يقدم الساحر خدماتٍ للشياطين مقابل ما يتمنى الساحر.

حاولت وأخي التخلص من العهد، لكني فقدت أمي وأخي أثناء ذلك، ووجدت نفسي محملًا بالغضب تجاه الشياطين اللعينة، ومطلوب مني أخذ عهد الدجالين والتحول من مهندس كهرباء ومعيد في كلية الهندسة إلى ساحر رجيم.

استطعت استخدام علم الفيزياء والكهرباء في التملص مؤقتًا من العهد وخداع الشياطين، لكنّ الأمر كان أكبر مما أظن، إذ اكتشفت تورط حبيبتي السابقة -التي لا تعرف أنها حبيبتي أصلًا- سهير زاهر في برنامج إذاعي شيطاني «بعد منتصف الليل»، مما أدى إلى تلبُس شيطان الرعب بجسد حفيدها، ومن هنا اضطررت للظهور في

حياتها، واضطرت هي إلى التورط مع عالم الظلمات أكثر

وبدأت الأحداث من هذه النقطة.

***

شخصيات السلسلة:

لاشين: مهندس كهرباء ساحر يلتهم الشياطين ويكتسب قوتها.. وشرها.

سهين: مصورة فوتوغرافية لديها قدرة باراسيكولوجية اسمها «ثوتوجرافي»، إذ تستطيع تصوير الأشباح والشياطين بأي وسيلة متاحة. وهي حبيبتي بالطبع التي لن أتركها لزوجها السمين الكئيب.

أسامة: زوجها السمين الكئيب، مدرس في كلية آداب طنطا قسم علم النفس. لا أنكر أنه يحب سهير للغاية، لكنه كما ذكرت سمين وكئيب ومتراخ و.. ما علينا.

شريف: ابن سهير وأسامة، زوهري مثل جده، يستطيع التواصل مع الجن بسهولة لطبيعته الزوهرية التي هي مزيج من الجان والإنسان، متمرد، جميل الخلقة كأمه.

رانيا: ابنة سهير وأسامة الكبرى، ووالدة عمر الذي ورطنا جميعًا مع شيطان الرعب. لا شخصية لها، طويلة كأبيها، مُحبة للنكد مثله.

مهدي أبركان: ابن ديهيا الأسود، ليس من نسلها، إنما هو زوهري مغربي، قاتل سحرة متسلسل، ليس شريرًا ولا طيبًا، لذلك هو مهم

لأسباب تطول شرحها.

مهاب: مذيع صار مشهورًا نوعًا بعد برنامج بعد منتصف الليل، تورطت عائلته من قبل مع شيطان الرعب وفقد أخاه الأصغر عمرو بسببه، جده عمارة قابيل كان عالم روحانيات تسبب في فتح أول بوابة لعبور الشياطين واكتشف طريقة للتواصل معهم عبر مايكروفون عتيق.

حسن: المراهق، صديق عمرو شقيق مهاب، والآن صار في مكانة عمرو وجزءًا من عائلة سهير الممتدة. أنا أحبه بشكل شخصي وأتمنى لو كان ابني.

والآن، أتمنى أن تقرؤوا السلسلة بدلًا عن هذا الملخص الذي أفسد تفاصيلها. هل ارتحتم الآن؟!

* * * * *

الفصل الأول

طنطا

أكتوبر ٢٠٢٣

في هذه الأثناء، كنت أتابع بقدراتي الشيطانية المستحدثة -بعد مواجهتي مع شيطانة الأنباط- ما يحدث مع أسامة في بيت عائلة الصاوي في دسوق، وأحاول ألا أتابع -بقلبي أكثر مما بقدراتي الشيطانية- ما يحدث مع سهير؛ هي الآن مُطلقة، وكعرف شرقي

صميم، أعرف أن سمعتها على المَحك، خاصة وما يُشاع عن علاقتنا، ما أدى إلى طلاقها. لكني لن أستطيع..

لن أستطيع أن أطمئن عليها. لن أستطيع أن أمحوها؛ محوها هو استئصال لمحرك حياتي وغايتها وبشريتي التي تجاهد متشبثة في جسدي الموبوء.

«مراقبة من بعيد لن تضرها، ولن تعرف عنها شيئًا»..هكذا تقول لي نفسي.. أم لعلها شياطيني؟

أراها ترتدي عويناتها الطبية الجديدة فلا ترى بها جيدًا للحظات. تتجاهل النظر إلى هاتفها صباحًا، وتذهب لإيقاظ رانيا التي لم تنم، بل ظلت جالسة تتابع قناة تبث مسلسلًا كاملًا مُختصرًا خلال أربع وعشرين ساعة.

- صباح الخير يا رانيا. ألم تنامي؟

تهز رأسها «نعم، لم أنم» وتتابع الصور المتلاحقة لمصطفى شعبان وهو يقلّد محمود عبد العزيز في مسلسل ما. تُعد للإفطار. شطائر أي شيء في الثلاجة، وكوب شاي بلبن، وفنجان قهوة سريعة الذوبان لرانيا. تضع الصحفة بينهما على أريكة الصالون التي نقلتها لتواجه التلفاز. ذاك الصالون الذي كان يقدسه أسامة ولا يدع أحدًا يجلس عليه إلا الضيوف هو الآن ملكها.. مُسجّل في قائمة المنقولات.

- لحظة يا رانيا أشاهد الأخبار فيها ثم أترك لك التلفاز وأنزل.

- الأخبار على تويتر يا أمي.

- أنت تعرفين مشكلة نظري.

- أنا أعرف مشكلة هروبك من هاتفك المحمول. ثم أنت تعرفين أنني لن أتحمل رؤية أشلاء الأطفال في فلسطين، ولن تتحملي أنتِ أيضًا هذا.

- لن نتظاهر أن شيئًا لا يحدث.

- يمكن أن نتظاهر أننا فقط لا نعلم عنه شيئًا.

دقائق مرت ثم سمعت سهير صوت باب حجرة شريف يُفتح، وصوت خُفي رجاء إذ تسير ببطء مرتكنة إلى الحائط.

- سهير.. لماذا لم توقظيني؟

- كنت سأوقظك قبل أن أنزل إلى الستوديو.

قامت سهير تاركة شطائرها ونصف كوب شايها متجهة إلى حجرتها؛ لا مزاج لها لحديث رجاء ولا شجارها مع رانيا ولا لأي شيء.

في الثامنة والنصف كانت سهير في الشارع، تحمل حقيبتها الضخمة وترتدي قميصًا واسعًا وبنطالًا من الجينز. تخفي وجهها خلف عوينات شمسية طبية، شعرها القصير يشير إلى كافة الاتجاهات العلوية كَلُبّ فص يوسفي مقلوب. تسير إلى الستوديو. يُقرئها الجيران السلام فتبتسم. يسألونها عن الدكتور وعن شريف فتجيب أنهما بخير وتُسرع الخُطا. أخيرًا تدخل الستوديو وتغلق

بابه. هي الآن في أمان.. إلا من الذكريات ومن صورة عمر يحمله أسامة، المعلّقة أمام مكتبها. هذه هي الصورة الوحيدة التي ظهر فيها عمر دون ظلال شيطان الرعب، صورة التقطتها قبل أن تبدأ حياتها في التداعي.

رنّ هاتفها برقم الكاتب إيهاب عماد الدين، الكاتب المصري الأكثر مبيعًا على مستوى الوطن العربي، وواحد من أهم الكتاب التي تحولت رواياتهم إلى أفلام غيّرت مسار أفلام الخيال والرعب في الشرق.

ماذا يريد في هذه الساعة؟

- صباح الخير يا أستاذة سهير. أيقظتك؟

صوته هادئ، رزين، نبرته كنبرة صوت شاب عشريني رغم أنه في منتصف الأربعينات. إيهاب لا يدخن، لا يشرب الشاي ولا القهوة، لا يسهر خارج المنزل ولا يعرف نساءً سوى زوجته. إيهاب وسيم لدرجة لافتة، يُقال أن هذا هو سبب شهرته، لا رواياته الخيالية الجريئة. إيهاب خدوم للغاية، لا يبخل على أحد بأية مساعدة، ذو كاريزما استثنائية تجعل المنتجين يلثمون يديه كي يُمثل في أفلامهم، لكنه يرفض. إيهاب رجل منزلي، لا يحب حياة الشهرة رغم انغماسه فيها.

- أهلًا أستاذ إيهاب. أنا في الستوديو. كيف حالك؟

- بخير الحمد لله. نسمة ترسل لك تحياتها..

صوت نسمة زوجته يصلها تهتف من جواره:

- سهين أوحشتني.. نحن قادمان لزيارتك!

يرتفع حاجبا سهير تعجبا. زيارتها؟ كان إيهاب قدطلب من سهير من قبل أن تلتقط له ولعائلته صوزا خاصة لزوم الدعاية الشخصية له وتأكيد أنه «رجل عائلة» كما يقول الكتاب، وكان هذا في الصيف الماضي. تعرّفت وقتها على نسمة وابنتيهما، وتحدثا معها عن مقترح تحويل كتابها «أشباح الموالد» إلى حلقات تُعرض على منصة عربية شهيرة، لكن سهير انشغلت وكذا إيهاب، ولم يتحدث الطرفان إلا لمامًا من وقتها.

- بالطبع يا نسمة.. أي وقت.

- غدًا يناسبك؟

ارتبكت سهير لحظة، ثم وافقت على الموعد. ليس من الذوق أن تسألهما عن سبب الزيارة. لا بد أن تعيد أريكة الصالون إلى مكانها إذًا، وأن تُرسل في طلب لحم ودجاج و.. هل انتهى مخزون الأرز لديها؟

وقع نظرها على تطبيق واتساب المزدحم بالرسائل. رسالة من مهاب يسألها عن أخبار عويناتها الجديدة. رسائل من أشخاص لا تعرفهم يطالبونها بتفسير لمواقف ما ورائية. رسالة تهديد ووعيد من محمد طليق ابنتها. رسائل من حسن يحكي عن أحواله في منزل والدة مهاب في المحلة. رسالة من المهندس فريد يتوعّدها فيها بالويل

بسبب ما حدث في مخيمه في دهب .

ثم رسالة منذ أربعة أيام من إيهاب عماد الدين يسأل عن أحوالها ويطلب موعد معها.

لا رسائل من شريف.

لا رسائل من أسامة.

لا رسائل مني.

***

جلس إيهاب ونسمة في الصالون أمام سهير يشربون القهوة ويتحدثون عن الأوضاع السياسية التي تُثقل قلوب الجميع. يقول إيهاب:

- لا بد أن تكون للاهين مغامرة في فلسطين قريبًا لدي فكرة ظريفة عن ساحر فلسطيني من المقاومة. ساحر يستخدم السحر الأبيض ضد الإسرائيليين مثلًا..

- أنت تعرف أن مغامرات لاهين حقيقية، لا يمكن أن يقابل ساحرًا فلسطينيًا إلا إن كان هناك واحدًا بالفعل.

- يا أستاذة!

قالها كأنما لا يصدق أن ما تذكره في الكتب حقيقي، ثم استطرد:

- أنا أصدق أن «بعض» ما كُتب حقيقي، لكنكما تستعينان بكاتبة

رعب لصياغة مذكرات لاشين، فلا تخبريني أنها ستقاوم فكرة تأليف كتاب أو اثنين من وقت لآخر اعرضي عليها الفكرة.. أم أعرضها أنا؟

- دعك من هذا الأمر لا أعرف حتى إن كانت السلسلة ستستمر في الإصدار أم أن طليق ابنتي سيقاضي الكاتبة أو دار النشر لنؤجل هذا الأمر الآن.

قالت بسمة التي لم تكن بكامل جمالها المعهود؛ انطفأ وهج عينيها العسليتين وخفّت كثافة شعرها الأسود الطويل:

- الحقيقة يا سهير نحن نعرف ما تمرين به، وفكّر إيهاب كثيرًا فيما يمكننا مشاركته معك لتبتهجي.

- هذه فكرة نسمة. تعرفين كم تحبك وتحترمك يا أستاذة سهير مع أنكما لستما مقربتين.

- سهير.. نريدك أن تمضي معنا يومًا في فيلتنا الجديدة. المكان مذهل حقًا.

- هذه دعوة لك ولابنيك ولأي شخص ترين أن وجوده سيسعدك.

نظرت سهير في شرود إلى قدميها وقالت:

- لقد فاجئتماني.. أنا بخير.. لكن.. شكرًا.. لكن..

- لا ترفضي يا سهير.

- لا أعرف.. أعني.. لا تغضبا مني، أنا لا أجيد فن الحديث. أرى فقط أن الدعوة بلا سياق. لماذا تدعواني ولسنا مقربين إلى هذه الدرجة؟

هل تفهمان؟

شعرت سهير أن ما قالته حماقة وقلة ذوق، لكن هذه هي صغيرتي التلقائية، ولهذا يحبها الجميع. ضحك إيهاب ثم قال:

- اعتبريها رشوة لنتحدث هناك «على رواقة» في أمرين؛ الأول هو نشر الجزء الثاني من كتابك أشباح الموالد الذي حدثتني عنه من قبل. أستطيع أن أتوسط لنشره في الدار التي أنشر فيها رواياتي.

رفعت سهير عينيها نحوه في تعجب. هذه دار عريقة لا تحلم أن تخطو أمام مبنى إدارتها الفخم. أضاف إيهاب:

- والأمر الثاني هو سلسلة أفلام مأخوذة عن الكتابين. سأكتب لها السيناريو بنفسي، وسيعرض مُترجمًا في كل أنحاء العالم. هذه هي الروح المحلية التي تنجح في الخارج. أنت تعرفين أن رواياتي التي نجحت على الشاشة كلها مبنية على تراث مصري. ما رأيك أن تلعب دورك نجمة مثل.. هند صبري؟ رِهام عبد الغفور؟ منة شلبي؟

باغتتها بسمة هاتفة:

- سهير! رجاءً وافقي! لنلتقط صورًا في فيلتنا الجديدة تدشينًا لهذا الاتفاق. انضمي إلى صورة عائلة عماد الدين التي يروج بها إيهاب عن أعماله. عائلة فريدة من النوابغ التي تضيف للفن والأدب تراثًا مصريًا أصليًا من وجهة نظر عصرية.

وعدتهما سهير أن تفكر في الأمر. مضت الأمسية في هدوء وانضمت رانيا ورجاء إلى الزوجين الأنيقين على العشاء، ثم ودعت

مهير ضيفيها. نزل إيهاب الدرج أولًا، بينما تسلم نسمة على مهير وتطيل العناق وهي تهمس لها:

- مهير، رجاء وافقي. أحتاجك.

ثم تدس في يدها علبة صغيرة وهي تقول في مرح:

- نسيت أن أعطيك هذه. هدية بسيطة منا.

بعدما نزلت نسمة وأغلقت مهير الباب، انقضّت رانيا على العلبة تفتحها وهي تهتف:

- هدية من إيهاب عماد الدين شخصيًا! لا بد أنها..

صمتت رانيا وهي تحدق إلى ما في داخل العلبة. وقفت مهير ورجاء خلفها ينظران إلى الساعة الفضية الأنيقة، والوريقة الصغيرة المكتوب فيها: «النجدة».

***

بعد ساعتين من رحيل الزوجين، أرسلت مهير لنسمة رسالة على واتساب تسألها فيها إن كانا قد وصلا القاهرة، فأجابتها أنهما في الطريق.

«شكرًا على الهدية الرائعة.»

«سعيدة أنها أعجبتك. ذوق إيهاب.»

«رائعة حقًا. العلبة كذلك أنيقة. لفتت انتباهي.»

تمنّت سهير لو تسألها بشكل مباشر عن رسالة الاستغاثة، لكنها لا تعرف لماذا استغاثت بها في السر وممن، وما حدود اطلاع من تستنجد منه على رسائلها.

« توقعت هذا. سأنتظر زيارتك. لا تتأخري علينا.»

قرّبت رانيا رأسها من سهير أكثر تتابع ما تكتبه، بينما جلست رجاء متربعة على الفراش جوارهما تحل الكلمات المتقاطعة من جريدة الأهرام. قالت رانيا:

- أعتقد أن آخر عبارة في رسالتها تعني أنها فهمت تلميحك.

- وهذا يعني أن عليّ أن أقبل دعوتهما.

قالت رجاء من فوق طرف جريدتها:

- لن تذهبي يا سهير وحدك. أنت مُطلقة الآن. هل تريدين أن يلوك الناس سيرتك؟

- رجاء! أنا لن أذهب لملهى ليلي! هذه زيارة لأصدقاء.

- ليسا أصدقائك يا سهير. مجرد معارف، وهذه دار كاتب معروف، لا يهمني إن كانت زوجته تعرفك أو تستغيث بك. لماذا تستغيث بك أصلًا ومن أي شيء؟ أليس لها أهل؟ ألا تعرف رقم هاتف الشرطة؟

صاحت رانيا في حنق وهي تجدل ضفيرتها للمرة العاشرة منذ جلسوا:

- طنط رجاء، نسمة في مأزق، وطالما استغاثت بأمي فهي بالتأكيد

في مأزق ما ورائي! مأزق لن ينفعها فيه الأطباء ولا الأهل ولا الشرطة.

- هذا سبب أكبر كي لا تذهب. كفانا يا سهير كفانا..

ألقت سهير هاتفها المحمول على الكومود جوارها وتمددت على الفراش، ثم جذبت طرف الغطاء نحوها وغمغمت:

- تصبحان على خير.

قامت رجاء تنظر إلى رانيا شذرًا وتقول مشاكسة:

- خيبة الله عليك يا رانيا وأنت تشبهين أباك. قومي أيتها النخلة بضفيرتك التي تشبه سباطة البلح هذه.

لكن رانيا لم تضحك.

***

جلست رانيا في الشرفة تتابع التلفاز في الصالة يعرض كالعادة مسلسلًا عن رجل مزواج ، وتثبت الهاتف المحمول إلى أذنها تنتظر رد شريف على رجائها له أن يعود إلى المنزل.

- رانيا.. لست مستعدًا الآن للعودة ولا لخوض أي حديث من أي نوع.

- ما بك؟! لا أفهم.. ما علاقة ما حدث ببقائك في المنزل؟ أبي لن يعود وأمي لن تقبل أن تعود إليه بعد شكّه في سلوكها إلى حد

الطلاق. هل ستعيش عند صديقك للأبد؟

- كل واحد في هذه العائلة يفعل ما يروق له. أمي ستعود إلى الماورائيات، وأبي سيظل كما هو يستمتع بحياة الريف في مكان ما، وأنت ستتزوجين مرة أخرى.

- وأنت؟

- عندما أجد ما أريد، سأفعله.

- لماذا لا تجده وأنت معنا يا شريف؟ ما بك حقًا؟ صوتك صار غريبًا، لا ترد على الهاتف أغلب الوقت. كلامك بطيء. أريد أن أراك. لنتقابل خارج المنزل.

- لاحقًا يا رانيا.

- شريف! أنت أناني! خالتك لن تتركنا وشأننا طالما لا يوجد رجل في البيت! كأننا طفلتان! أنت ستفعل ما تريد وأنا وأمنا سنظل تحت رحمة طلاقنا إلى الأبد!

زفر شريف، ثم استأذنها أن يتصل بها لاحقًا. لمحت رانيا ظلًا خلف باب الشرفة فتجاهلته. شبح؟ لا بأس. منذ متى والأشباح تغادر طرفي مجال إبصارها؟ أليس هذا هو سبب طلاقها من الأساس؟

في الصباح عرفت رانيا أن ما رأته خلف الباب لم يكن شبحًا، وإنما خالتها التي جمعت حاجياتها لتعود إلى القاهرة. وقفت سهير بينها وبين الباب لا تفهم ما استجد.

- ابنتك يا سهير لا تريد وجودي الثقيل الذي يقيدكما. الأصول تقيدكما الآن؟ حسنًا.. لدي بيت وعمل أنا الأخرى.

- رجاء، انتظري. أنت تقولين أنها كانت تحدث شريف غاضبة.. لحظة شيطان يُقال فيها ما لا نعنيه.

- هل سأنتظر أن تطرديني أنتِ يا سهير؟ عمومًا أنا موجودة وبيتي مفتوح لكما. تعاليا متى شئتما. لدي عمل أتابعه يا أختي العزيزة.

ظلت رانيا واقفة على باب حجرتها تتابع ما يدور بين أمها وخالتها. لا زال رمز الحماية من شيطان الرعب مرسوم على الباب، وبساط الحجرة مغطى بشعر القط مشموش الذي يعيش الآن مع عم سهير وزوجته الحاجّة مريم.

يُغلق الباب خلف رجاء، فتستدير سهير لترى رانيا تحل ضفيرتها في شرود.

- رانيا؟ لماذا لم تعتذري لها طالما تسمعين ما نقول؟

- لماذا أعتذر؟ أنا لم أخطئ. لم أتصنت على مكالم ابنة أختي خشية أن تكون على اتصال برجل ما. لم أمنع أختي وابنتها من ممارسة حياتيهما. كل ما قلت أنها ستظل هنا في غياب الرجال عن البيت.

صمتت سهير؛ رانيا لديها حق. على الرغم من علاقة سهير القوية بأختها لكنها تمثل لها السلطة العليا طيلة عمرها لا تلوم رجاء على هذا، ففرق السن بينهما ووفاة أمهما وضعاها في إطار الأم، لكن

سهير لن تقبل أن تخرج من سجن إلى سجن آخر أنا أعرفها وأعرف أنها عصفور لم يُخلق ليُقيَّد.

- أمي.. متى سنذهب إلى نسمة؟

- هل هذا وقته يا رانيا؟!

***

أوقفت سهير سيارتها الصغيرة أمام المبنى الذي يسكن فيه إيهاب عز الدين في أحد المجمعات السكنية الجديدة بالقاهرة. الشوارع خالية، الفيلات والمباني المجاورة تحت التشطيب، البذخ الظاهر من خلف السور والأشجار يُبين لسهير أن ليس كل الكُتاب سواء؛ هي تعرف عددًا لا بأس به من الكُتاب لا يرتزقون من كتابتهم أساسًا.

كأنما تقرأ أفكارها، قالت رانيا وهي تحدق إلى المبنى:

- لا يمكن أن يوفر المرء مسكنًا في بناية كهذه من مكاسب الكتابة في مصر.

- إيهاب من عائلة كبيرة على العموم.

- كلا يا أمي.. السينما. كل هذه المكاسب من السينما. لا أعرف سبب تمسكك بعدم تحويل كتابك وبرنامجك إلى مسلسل أو فيلم.

- أخبرتك أن هذه الحياة لا تناسبني. لقد جربت رُبع شهرة من البرنامج وحياتي انهارت تمامًا.

- ليست الشهرة هي من دمرت حياتك يا أمي.

لمحت سهير عَبَرات في عيني رانيا المنعكستين على زجاج نافذتها. وضعت يدها على كتف ابنتها وقالت:

- هيا. لنستكشف هذا المبنى الفخيم، وما تستغيث منه ساكنته.

استقبل إيهاب ضيفتيه -في شقته الدوبلكس بالدور الأرضي- بترحاب بالغ وهو يرتدي قميصًا وبنطالًا بسيطين من ماركة عالمية، ومن خلفه ابنتاه ميا وميريام المراهقتين. قالت ميريام –الكُبرى- في حماس:

- أسمع برنامجك طيلة الوقت، ولدي كل روايات لاشين. كنت آمل أن يحضر معكما.

ابتسمت سهير ولم تُعلق وهي ترى رانيا تسرح بعينيها في قاعة الاستقبال الواسعة ذات النوافذ التي تحتل الواجهة بالكامل وتطل على حديقة خاصة. رأت سهير نسمة تصعد الدرج من طابق سفلي ويتهلل وجهها وهي تندفع نحو سهير وتعانقها متشبثة بها كأنها لوح خشبي وسط محيط.

- سهير. لن تصدقي سعادتي لحضورك. أهلًا رانيا. أين رجاء؟

- عادت إلى بيتها أمس.

بعد المزيد من الترحاب والمزاح مع الفتاتين الجميلتين المنطلقتين، دعا إيهاب سهير وابنتها للنزول إلى القبو -البيزمينت كما يطلقون

عليه - فاقشعر جلدها وهي تنظر بجانب عينها إلى رانيا وتقبض على يدها فتمنعها من حل ضفيرتها لا إراديًا بدافع التوتر. القبو.. ظنت سهير أن الرعب المصري يخلو من الأقبية المسكونة التي تمثل أكثر عناصر الغموض إرعابًا لها، بسبب تراث الأفلام الأجنبية التي تغذى عليها عقلها في طفولتها.

نزل إيهاب متقدمًا زوجته وضيفتيه على سلم من الرخام المضيء بإضاءات مخفية في الحائط إلى مُتسع بالأسفل، مكيف بالكامل، مُقسم إلى قاعة بها شاشة عرض ضخمة وثمانية مقاعد وثيرة مصطفة خلف بعضها.

- هذه هي السينما المنزلية الخاصة بعائلتنا يا أستاذة. أنت تعرفين هوسي بالسينما عمومًا، ولا يخفى على أحد أنني درست الإنتاج السينمائي أيضًا ومارست الإخراج المستقل فترة قبل أن أتفرغ للكتابة.

قالت رانيا في فضول وهي تشير إلى باب خشبي عند نهاية القاعة:

- هذا الباب.. هل هو سبب..

قاطعتها نسمة في ارتباك:

- باب سميك لعزل ستوديو تسجيل الصوت والمونتاج الخاص بإيهاب. يؤجره أغلب الوقت ويدر علينا دخلًا جيدًا، خاصة وأنتما تعرفان أن الكتابة الروائية لن تفتح بيتًا كهذا.

قادهن إيهاب إلى الستوديو وفتح الباب الخشبي السميك كاشفًا عن حجرة معزولة الحوائط بها مُعدّات وشاشات لم تر لها مهير مثيل من قبل.

- بالطبع يا أستاذة أرحب جدًا بتسجيل برنامجك هنا في حال فكرتِ في إعداده بشكل أكثر احترافية. لماذا لا تذيعينه في التلفاز بحيث يتاح عرض المواد البصرية بشكل أفضل مما يدعم صدق..

- شكرًا يا إيهاب على هذا العرض اللطيف. سأفكر بالتأكيد في كل هذا، لكني أحتاج إلى وقت..

قالت نسمة وهي تطوق كتفي مهير فتشم الأخيرة رائحة نفاذة غريبة لا تنسجم مع مظهر السيدة الراقية النظيف:

- ألم أقل لك؟ لن تقتنع. أعتقد أنها خائفة من التجربة الجديدة والمسؤوليات التي قد تُلقيها على عاتقها، أليس كذلك يا مهير؟

صفق إيهاب كفيه مبتسمًا وهتف:

- أراهن على ذلك. أستاذة مهير.. أنت دائمًا تستمعين إلى مخاوف الناس وتطمئنينهم، يمكننا أن نستمع إلى مخاوفك ونناقشها.

ضغطت نسمة على كف مهير وقالت في حماس:

- اتركها لي. سأقنعها.. لكن بعد حفل الشواء.

***

لحسن حظها أن المنتج وزوجته لم يطيلا الزيارة، لكنهما تحدثا أغلب الوقت إلى سهير عن موهبتها ودراستها وبرنامجها حتى شعرت أنها تختنق. هل هذا استجواب؟ ما أكثر مكالمة أخافتك يا أستاذة؟ ما أكثر تحرٍ ما ورائي أرعبك يا مدام؟! لمحت رانيا الضيق على وجه أمها فهمست لنسمة:

- هذه أمي وأعرفها جيدًا. ستبكي فجأة. هل يمكن تخفيف الضغط عنها قليلًا؟

هزّت نسمة رأسها في تفهم وأدارت الحوار في اتجاه يتبع عملهما وخططهما مع إيهاب، ثم استأذنت لتصحب سهير ورانيا إلى دورة المياه، وانعطفت بهما إلى حجرة الفتاتين لتخرجهما منها وتغلق الباب.

- سهير.. لا وقت لدينا قبل أن ينصرف بلال الشاعروزوجته ويلاحظ إيهاب اختفاءنا.

- احكي لي، ممّ تستغيثين؟

- من إيهاب.. إيهاب يا سهير ليس كما يظنه الجميع وليس كما ظننته طيلة حياتي. إيهاب ساحر..

***

تقول سهير لرانيا وهي تقود السيارة عبر الطريق الزراعي عائدة إلى طنطا:

- على حسب ما قرأنا في الرسالة التي دسّتها نسمة في يدي منذ قليل، فما تحكيه عن إيهاب لا يعني أنه ساحر بل سيميائي.

- سيميائي؟ مثل الشخصية في رواية باولو كويلو؟ ذلك الذي كان يمارس علمًا يحول به ما لا قيمة له إلى معادن ثمينة؟

- خطأ في الترجمة أدى إلى الخليط بين الخيمياء والسيمياء يا رانيا. رواية كويلو اسمها الخيميائي، أما ما أتكلم عنه هو السيمياء.. هل أشرح لك المعنى المتوافق مع الدين، أما المعنى الأوسع؟

- كل شيء.. اشرحي كل شيء.

لمحت سهير الاهتمام على وجه ابنتها وهي تمشط ضفيرتها التي تصل إلى خصرها بأصابعها. حركة لا إرادية تميز رانيا منذ كانت طفلة، تُشتت بها نفسها عن الخوف الذي لازمها منذ اكتشفت أنها ترى الأشباح بركن عينيها أغلب الوقت. قالت سهير:

- السيمياء هي علم الكلِم وتأثير الكلمات المقدسة على صلة العبد وربه، والكلمة مشتقة من كلمة «سِمة» أي علامة. هذا هو التعريف المتحفظ.

- والحقيقة؟

- السيمياء تعني الرُوحانية، وهو معتقد شائع في الغنوصية الصوفية..

- غنوصية؟

- أفكار ومعارف مشتقة من الديانات القديمة.المهم، هذا المعتقد وجد طريقه إلى الصوفية، وبه يرون علاقة بين الطبيعة الإلهية وطبيعة المخلوقات، ويرون كذلك أن هناك سبيلًا لارتقاء البشر إلى مراتب علوية عن طريق طقوس خاصة. ليست طقوسًا سحرية بالمعنى الحرفي يا رانيا.. لا أريد أن أتحدث طويلًا في أمور فرعية شائكة لا أؤمن بأغلبها في الأساس. ما أريد قوله أن إيهاب سيميائي، يتبع منهجًا في السحر يقول بأن السيميائي قادر على تسخير أو توجيه الملائكة لخدمته.

عقدت رانيا حاجبيها واقشعر بدنها من الفكرة والتجديف الواضح فيها. أردفت سهير:

- لا تتعجبي يا روني.. في الموالد كنت أسمع من يطلقون على أنفسهم لقب شيخ، يتمتمون بتعاويذ سحرية تتضمن أسماء ملائكة، بل أيضًا أسماء مثل أدوناي وإلوهيم اللذين يشيران إلى الله سبحانه وتعالى. هل تفهمين الآن لماذا يؤدي السحر إلى الفتنة، والفتنة إلى الكفر؟ هؤلاء لا يعرفون حتى معنى ما يتمتمون به ولا أصوله اللغوية.

- و.. وماذا يحدث إن استخدم أحد هذه السيمياء؟

- من يعرف يا بنتي أي شيء يستدعون، وأي شيء يدعي أنه ملاك وهو أبعد ما يكون عن ذلك.

- أتعنين شياطين؟

- العالم مليء بالكائنات الخفية. لقد قابل لاشين كائنًا سماليًا اسمه مهر يدعي أنه ملاك ويخدع البشر منذ آلاف السنين. مهر ليس شيطانًا كذلك، بل عدو للشياطين. الكتاب الذي أحفظه أنا وشريف يحوي عشرات الآلاف من الأسماء والأوصاف لكائنات خرافية وحقيقية لا يتخيل عقل بشري وجودها. منهم مَن انقرض، ومنهم من لا علاقة له بالبشر.

مدّت رانيا بصرها إلى الطريق المظلم الذي تحاوطه المزروعات على الجانبين وتذكرت ما قرأته وأمها في رسالة نسمة التي أعطتها لسهير سرًا في حجرة ابنتها.

«شكرًا أنك قبلتِ مساعدتي. هل يمكنك تصوير القبو؟ إيهاب لا يكف عن تعديل كلمات يسجلها بنفسه في الستوديو، ويضيف إليها مؤثرات غريبة تجعلها مسموعة حتى لو غطيت أذني.. حتى لو كنت في مكان بعيد عن البيت. أحفظ هذه العبارات من كثرة ما تتردد في عقلي بلا انقطاع: أهيا شراهيا.. أهيا شراهيا أصباوت آل شداي.. ألوها أدوناي إسرائيل أصباوت آل شداي.. اياه اياه صبوائيل.. اياه اياه اذنيا شمرائيل. ثم الرسومات التي تُعرض على الشاشات ويدعي أنها مجرد واقي شاشة «سكرين سيفر»، رسومات تثير الرعب.. رموز طلاسم، رسمت لك بعضها في ظهر الوريقة. أنجديني.. هذه الأشياء التي يحضّرها تراقبني في كل مكان. أنا في خطر وأعرف أنه يعرف أنني أكتب لك، وأنا مذعورة من عدم وجود رد فعل له. أنت الوحيدة القادرة على مساعدتي. النجدة»

بمجرد أن رأت سهير الرموز التي رسمتها نسمة على ظهر الخطاب عرفت أنها الكتابة الإينوخيّة؛ تلك التي ابتكرها الخيميائي والعراف جون دي، وصديقه المستبصر إدوارد كيلي في نهاية القرن السادس عشر وهما يتبعان الديانة الهرمسية ويمارسان السحر الإينوخي ويدعيان تواصلهما مع الملائكة والتحكم في قدراتهم. هنا أريد أن أقول -أنا لاهين- أن صغيرتي سهير أصبحت مذهلة.. خبيرة في مجالها، بل وتثبت قدميها الدقيقتين في مجالي أنا شخصيًا. أنا فخور بها.. للغاية.

- هكذا يا رانيا عرفت أنه سيميائي، ومن صيغة العبارات التي يرددها عرفت أنه يخاطب بها ملائكة.. أو مَن يظنهم ملائكة بالطبع.

- والعمل؟ لم نجد وقتًا لتصوير القبو.. هل ستزورينها مرة أخرى؟

- لا أعرف يا ابنتي.. لا أعرف..

لكنها كانت تعرف أنها لن تترك نسمة تعاني وحدها، وتعرف أن رانيا سوف تمضي الليلة في البحث عن كل المصطلحات التي تعلمتها اليوم على الإنترنت، وأن نسمة بالنسبة لها عُمر آخر لن يصدقه أحد سواها وأمها.

***

في صباح اليوم التالي لم تذهب سهير إلى الستوديو بسبب إرهاقها من سفر اليوم السابق. استيقظت قُبيل صلاة الظهر لتجد رانيا عاكفة على تطبيق هاتفي لتعليم اللغة الإنوخية! لم تكن سهير

تعرف بوجود تطبيقات مشابهة، لكن رانيا قالت لها وهي ترسم الحروف في دفتر:

- بعض تطبيقات تعلم اللغات الحقيقية تقدم دروسًا في تعليم لغات خيالية ظهرت في أعمال سينمائية أو تليفزيونية. الحروف التي ذكرتها نسمة في الرسالة لا تكوّن كلمة ذات معنى.

- متوقَّع. هي كتبتها لتعطيني مثال على ما ينقشه زوجها.

أمسكت سهير هاتفها المحمول لتراجع الرسائل، فوجدت واحدة من نسمة.

«صباح الخير يا سهير. أتمنى أن تكونا قد وصلتما بالسلامة. شكرًا على زيارتك الرائعة. إيهاب مسافر هو والفنانان غدًا إلى رحلة عمل. سيتفق على فيلم جديد وتريد ميا الظهور فيه. أرحب بزيارتك مرة أخرى إن كان لديك وقت بالطبع.»

أرسلت لها سهير:

«نحن بخير يا صديقتي. لنتفق في وقت لاحق على الزيارة. اتصلي بي لو استطعت لأن هاتفي بعيد عني أغلب الوقت.»

نظرت رانيا إلى وجه أمها، فحكت لها مضمون الرسالة.

- يجب أن نذهب يا أمي. على الأقل لنرَ بأنفسنا ما تتحدث عنه.

- أولًا يا رانيا لو أن هناك شيئًا ما ورائيًا فلا أنصح أبدًا أن تذهبي معي وأعرضك للمخاطر ثانيًا ماذا لو ذهبتُ وتورطت في شيء

أكبر مني؟ هل التلصص على خصوصيات الآخرين من صميم عملي؟

نظرت لها رانيا معترضة وهتفت:

- أمي؟ مَن الذي تلصص على مقهى نيكس من قبل؟!

- الأمر مختلف.. أنا..

- نسمة في خطر. ماذا لو حدث لها مكروه؟ هل ترين كيف فقدت وزنها؟ ثم.. ثم انظري..

وجّهت رانيا شاشة هاتفها نحو أمها وهي تقول:

- بحثت عن اسم المنتج الذي قابلناه أمس ويزعم امتلاكه منصة عرض دراما. المفاجأة، لا وجود لهذا الاسم من الأساس في أي شيء يخص الفن أو الأعمال.

اتسعت عينا سهير ونظرت متسائلة إلى ابنتها التي أردفت:

- هذا ليس منتجًا. لماذا ظل يسألك كل هذه الأسئلة عن عملك والبرنامج والماورائيات؟ لقد رحل شيطان الرعب، لكن هل سيمر ما فعله به لاشين على خير؟ هل ستنتهي الشياطين من العالم؟ مستحيل!

- هذا يعني يا رانيا أنني قد أتورطت في أمر أكبر من قدراتي..

- .. لنتصل بلاشين..

- ..ولا أريد الاستعانة بأي شخص من السحرة والدجالين الذين دمروا حياتنا..

- .. لاشين لم يدمر شيئا، بل حاول إنقاذ..

- .. ولن أورط مهاب في شيء كهذا، فهو لا زال..

- .. لاشين قادر على معرفة ما يحدث دون أن يقوم من مكانه حتى..

- تبا للاشين! ارتحت؟!

تذكر أنك حملت رواية لاشين الزوجة اول ما يعلح حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة.

لأول مرة تسب سهير أي شخص خارج نطاق تفكيرها، بل إنها كانت تخجل من أن يدور في ذهنها سباب أمام ابنيها. ارتمت سهير على مقعد السفرة المقابل لابنتها وغطت وجهها بكفيها، وسرعان ما انهمرت الدموع تلطخ عويناتها وتسيل على خديها.

- أمي.. آسفة. أنا فقط..

- لا عليك.. سأطلب منها أن تستعين بلاشين مباشرة. هذا أفضل للجميع.

***

الفصل الثاني

انتظرت سهير اتصال نسمة أو طريقة تواصل لا تسبب لها مشاكل، لكن نسمة اختفت يومين، ثم في الثالث كانت سهير عائدة للتوّ من عملها فسمعت جرس الباب يدق. ذهبت لتفتح فوجدت نسمة أمامها، هالات سوداء تحيط عينيها، خصلات بيضاء تتوج رأسها، تجر خلفها حقيبة سفر كبيرة.

- نسمة؟! لماذا لم تتصلي بي؟ أعني..

- هاتفي في البيت.. لا أريده..

نظرت نسمة خلفها إلى الدرج شبه المظلم ثم خطت إلى داخل الشقة تدفع سهير أمامها وتغلق الباب.

- معذرة يا سهير.. هل.. آه.. وجدته.

اندفعت نسمة نحو المصحف الكبير على الحامل في الصالون، فحملته وعادت به لتسنده إلى باب الشقة. خرجت رانيا والمغرفة في يدها تقطر الصلصة على الأرض، تتابع ما يحدث متعجبة.

- سهير.. هم خلفي.. لست متأكدة، لكن.. أتمنى ألا يكونوا خلفي حقًا وإلا لن يكون هناك مكان أذهب إليه هربًا منهم إلا القبر

- اهدئي يا نسمة. من هم؟

جلست نسمة وسهير على الأريكة أمام التلفاز الذي يعرض الأخبار. قالت الضيفة وهي تنظر إلى التلفاز بركن عينها وتداعب دبوس زينة

أنيقًا يضمّ طرفي شالها الخفيف الذي ترتديه فوق ملابس رياضية تصلح للبيت أكثر مما تصلح للخروج:

- هم.. الذين يتواصل معهم إيهاب. لقد.. كل شيء صار مرعبًا بما لا يقاس بمجرد أن سافر.

- هل أخبرته بما يحدث لك؟

- أخبرته! لا حديث له سوى عن مرضي النفسي. لست مريضة يا مهير.. كنت أعاني في طفولتي من كرب ما بعد الصدمة بعدما طارد أحد البلطجية أبي وقتلوه أمام عينيّ. حاول أبي الهرب منهم والاختباء في البيت لكنهم طاردوه في أرجائه، وكنت أنا مختبئة داخل غسالة في الحمام ورأيته يُذبح أمام عينيّ.

- حبيبتي..

- لكني عولجت يا مهير قبل زواجنا وأنا الآن بخير. إيهاب مُصِر على إرجاع كل شيء يمر بي إلى اضطرابي السابق.

سألتها رانيا عما يحدث بالضبط في بيتها، فحكت نسمة أنّ الأمر بدأ العام الماضي عندما اشترى إيهاب الشقة ذات الطابقين في المجمع السكني الراقي، واكتشفت بعد ذلك بالمصادفة أنه اشترى البناية كلها، وأن المباني المحيطة بها لم تسكن بعد. بدأت ترتاب فيه إثر إخفائه أمر شراء المبنى كله، وأشارت شكوكها -دون دليل- إلى امرأة أخرى في حياته مثلًا، وإلا فلماذا أخفى عليها أمرًا كهذا؟

- بدأت أراقبه أكثر وأذهب معه إلى كل مكان سواء كان موقع

تصوير أو حفل توقيع، لكن مرافقته دائمًا مستحيلة، خاصة وأنا لم أجد دليلًا على شكوكي. بعدها مباشرة بدأ إيهاب في تحويل «البيزمينت» إلى سينما عائلية وفوجئت أنه يعزل جزءًا منه لتحويله إلى ستوديو تسجيل صوت ومونتاج لزيادة دخلنا وإتاحة فرصة عودته إلى الأفلام المستقلة والعمل عليها بأدواته الخاصة.

انشغل إيهاب أكثر في تطوير اسمه وتحويله إلى علامة تجاريّة، فكان أول كاتب عربي يسلك هذا المسار. استضاف الكثير من العاملين في السينما من أنحاء العالم في سينما داره وتحدثوا عن مشاريع ثورية لم يتحقق منها شيء خلال هذا العام ولم يبدُ أن هناك بشائر لشيء كهذا.

- في نفس الوقت، بدأ اهتمام ميريام بالرسم، وحضرت ورشة لتعليمه، وانشغلت هي الأخرى، بينما كانت ميا تحضر دروس التمثيل. كنت أمضي أغلب وقتي في النادي مع صديقاتي، وقد تطرق كلامي معهن عن السينما المنزلية، فطلبن مني أن يشاهدوا فيلمًا عندي وستحضر كل منهن طعامًا مختلفًا.. أنت تعرفين.. ليلة نسائية كما كنا نفعل قبل الزواج.

حضرت صديقات نسمة ووقفت كل منهن تنتقي من رفّ الأفلام، وواحدة راحت تبحث وسط الأفلام الموجودة على وحدة تخزين خارجية موصولة بحاسوب محمول. فجأة انفتح باب ستوديو الصوت وخرج منه إيهاب مبتسمًا مُرحّبًا، لكن نسمة شهقت مفاجأة

إذ لم تكن تعرف أنه في البيت. هتف بصوته الهادئ:

- أهلًا أهلًا.. هل راقت لكن مجموعتنا؟

التفت الصديقات حوله يستمعن إلى معلوماته المذهلة عن كل فيلم، ثم جلسن على المقاعد في شوق إلى ما سيختاره لهن. عرض إيهاب على الشاشة فيلمًا من إخراجه لم تره نسمة من قبل ولم تسمع عنه. أظلمت القاعة وجلس إيهاب في الصف الخلفي تاركًا للسيدات الصف الأمامي. جاورته نسمة وهمست وهي تنظر إلى الشاشة:

- متى صنعت هذا الفيلم؟

- كنت أدخره لمفاجئتك.

- هذا يعني أنك صورته قريبًا؟ كيف لم أعرف؟ هل كنت تكذب عليّ وتخبرني أنك تحضر..

قاطعها وهو يحيط كتفيها بذراعيه:

- لم أكذب. فقط أخفيت عليك لأفاجئك.

على الشاشة رأت نسمة مكانًا معروفًا؛ شقتهما الجديدة، لكن عندما كانت تحت التشطيب. هذا هو الدرج، والمساحة المفتوحة بالأسفل عبارة عن أرضية رملية وحوائط من الطوب الأحمر والعواميد الخرسانية. مصباح وحيد يتدلى من أعلى يكشف عن..

- هل هذا فيلم رعب يا أستاذ إيهاب؟

لا يرد إيهاب، فقط يهز رأسه في وقار ويبتسم الكاميرا المحمولة على كتف المصور تقترب من ستار قماشي مهترئ يفصل الحمام الصغير عن باقي المساحة الستار يتحرك كأنه يفعل بسبب تيار هواء، ثم ينبعج من المنتصف كأن أحدًا يدفعه للأمام من الجهة الأخرى. الستار يملأ الشاشة وينبعج أكثر تجاه المشاهدين ثم..

- هل تعرفين ما رأيته يا سهير؟ رأيت الشاشة نفسها تنبعج من المنتصف نحونا. صرخت.. هرعت صديقة إلى مفتاح النور تضيئه والتفت الأخريات حولي. إيهاب جواري ينظر إليّ في تساؤل وأنا أسألهن إن كنّ لاحظن ما لاحظت، لكن يبدو أن أحدًا منهن لم ترَ شيئًا. كنت واثقة مما رأيت..

- هل أكملتم الفيلم؟

- كلا. أكاد أقسم يا رانيا أنني رأيت الشك في أعينهن، كأنهن رأين ما رأيت ويخجلن من التصريح أمام إيهاب، خاصة مع ابتسامة السخرية التي ظهرت على شفتيه بعدما صرخت.

قالت رانيا وهي تضع المغرفة على المنضدة غير مكترثة لتلويثها:

- وبالطبع قال أن أعصابك المرهقة ومرضك السابق هو سبب رؤيتك لما رأيت.

قالت سهير في حذر:

- رانيا حبيبتي، نحن لا نعرف بعد ما رأت أو إن كان هناك تأكيد

على حدوثه. لا تخلطي خبراتك السابقة مع ما يحدث الآن.

وكانت سهير ترمي إلى تكذيب محمد لراليا بشأن رؤيتها الأشباح واتهامه لها بالجنون. زفرت راليا، فأكملت نسمة:

- شككت في نفسي على أية حال، لكن نرمين صديقتي اتصلت بي بعدها تطمئن عليّ وتقول أنها رأت ما رأيت لكنها خشيت أن تتكلم، فالصديقات يعتبرنها «خوّافة»، كما أن النساء يخشين إظهار خوفها غير المبرر أمام الرجال عمومًا. كنت أعرف أنها تود أن تضيف أن النساء يخشين إظهار خوفها أمام الرجال الوسماء المثقفين مثل زوجي.

تسللت نسمة في غياب زوجها –بعدما تأكدت من غيابه هذه المرة- وبحثت عن الفيلم على أرفف غرفة العرض وعلى الحاسوب ووحدة الذاكرة الخارجية فلم تجد شيئًا. قبل أن تصعد إلى حجرتها يائسة سمعت صوت حشرجة قادم من الستوديو المعزول، والذي يستحيل سماع ما يدور بداخله. ضغطت زر الإضاءة في القاعة واقتربت من الباب. ثمة ضوء مخضر باهت يتسلل من حول إطار الباب وهو -مرة أخرى- أمر مستحيل بسبب العزل. ما أن وضعت يدها على مقبض الباب حتى انطفأ نور القاعة، ورأت من يتحرك داخل الستوديو فتتحرك خيوط الأشعة التي يحجبها مَن بالداخل. هتفت وهي تطرق على الباب: «إيهاب؟» ولم تتلق ردًا.

الضوء القادم من الطابق العلوي يجعلها تتبين حدود الأشياء حولها

فقط، وترى على ضوئه منتصف الباب الخشبي ينبعج إلى الخارج مع صوت الحشرجة أقرب لاستغاثة شخص يختنق. رنين مزعج يتزايد ولا تعرف له مصدرًا. غطّت أذنيها وانطلقت تجري نحو الدّرج فأضاءت شاشة العرض بالفيلم الذي كانت تبحث عنه. استندت إلى الدرجات تشاهد في ذعر الستار المتحرك الذي يدفع الشاشة نفسها، ثم المشهد التالي الذي يبين رجلًا نحيلًا يعدو في أرجاء شقة واسعة وهو ينظر خلفه في ذعر. الكاميرا تتبع الرجل وهو ينطلق نحو الحمام ويغلق عليه الباب. ثمة ما يتحرك ويدفع غطاء الغسالة اليدوية قليلًا. الرجل ينتبه إلى الحركة ويرى عيني ابنته في الظلام فيضع إصبعه على شفتيه. ضربات على باب الحمام تحاول خلعه، ثم يسقط الباب إلى الداخل، ويُذبح الرجل وتغرق الدماء الكاميرا.

صاحت رانيا:

- هذه ذكرياتك أنتِ! هل استخدمها إيهاب في الفيلم؟

- هذه ذكرياتي نفسها يا رانيا.. ألا تفهمين؟ هذا أبي وليس ممثلًا.. هذه شقتنا القديمة وليست ديكورًا.

سألت سهير وهي تدفع عويناتها إلى أعلى قصبة أنفها:

- هل أنتِ واثقة مما رأيته؟

- واثقة.. لأن ميا كانت تقف على الدّرج بعدما سمعت صرختي ولفت نظرها الفيلم الغريب على الشاشة. لم أدرك وجودها إلا عندما طوّقتني بذراعيها وسحبتني إلى أعلى. كنت في حالة هلع شديد.

عندما عاد إيهاب حكيت له، فقال أن المشهد في فيلمه بالفعل لكنه تمثيل في تمثيل. الفيلم عَنّي -كما ادعى- ومستوحى من صدمة طفولتي. لكني أعرف أنه يكذب كما أعرف أنك تصدقينه حتى الآن يا مهين لو كنت مكانك لصدّقته. مسح إيهاب الفيلم من الذاكرة الخارجية الموصولة بالشاشة رغم أنني متأكدة من أنه لم يكن موجودًا، وطلب مني أن أنسى كل شيء عنه وأنه كان مشروعًا غير موفق. لكني كنت أريد مشاهدة باقي الفيلم مهما كلفني الأمر.

بعد عدة أيام دخلت نسمة الستديو مع إيهاب وصورت نسخة عالية الجودة من مفتاحه، وصنعت بها نسخة، وفي صباح اليوم التالي تسللت إلى الستديو وفتحت الأجهزة بحثًا عن الفيلم، لكنها بالطبع لا تملك كلمة السر لفتح الحواسيب، إلا أن حافظات الشاشة أثارت اهتمامها إذ رأت على كل شاشة عدة رموز لم تر لها مثيلًا من قبل. صوّرتها بهاتفها لتبحث عنها على الإنترنت لكنها لم تظهر. الصور سوداء تمامًا إلا من ضوء أخضر خافت يحيط بها.

- ثم سمعت صوت الحشرجة يخرج من الهاتف، ثم الرنين المستمر ورأيت انعكاس من يقف خلفي على الشاشة. التفت فرأيت.. حشرة.. هيكلًا عظميًا لحشرة ذات جناحين ضخمين على هيئة نصفي وجه بشري مُرعب، رأسها.. جمجمة ذات أسنان عريضة متفرقة، يعلوها قرنان ملتويان لأعلى ثم للخلف. أعرف أن الحشرات ليس لها هيكل عظمي، لكني أصف ما رأيت. الجسد عظمي.. قفص صدري ممتد على طول الجسد بلا سيقان. ذراعا الكلاب طويلتان مكونتان من

أربعة مفاصل لكل ذراع. لم أرَ شيئًا كهذا من قبل.. فقدت الوعي في لحظتها ولم أفِق إلا عندما بحثت عني مريام بعد ساعتين.

قالت رانيا:

- بالطبع قلب إيهاب المنضدة عليك وحمّلك خطأ التسلل وادعى جنونك.

- لم يلُمني مطلقًا، بل بدا مهمومًا. بعدها صار حريصًا للغاية على غلق باب الستوديو ولم يُجبني عن أي شيء مما رأيت باعتباره «تخاريف».. لكن إيهاب يتغير والرؤى تتكرر، وأرى ظل الكائن المرعب في كل مكان أكون فيه بمفردي. الطامة الكبرى يا سهير أن ميريام صارت ترسم هذا الكائن في لوحاتها.

تذكرت سهير أنها رأت بعض هذه اللوحات في الحجرة التي دخلاها في منزل نسمة ولم تفكر في معناها.

- وهل سألت ميريام عن معنى هذا الرسم؟

- قالت أنه من وحي خيالها، وأنه ليس مرعبًا. ومرة أخرى لم يصدق إيهاب أنني رأيت نفس الكائن من قبل أن ترسمه ميريام رغم أنني وصفته له من قبل! شكك في ذاكرتي وادعى أنني لم أصفه أنا هنا يا سهير لأنني لم أعد أتحمل البقاء في البيت خاصة بعد سفر إيهاب. الأمر يتزايد و..

عانقت نسمة سهير وبكت حتى ابتل كتف الأولى. ربّتت رانيا على

ظهرها وهمست:

- لا عليكِ. هذا بيتك.

رفعت سهير حاجبيها معترضة، فأضافت رانيا:

- أنا أصدقك.. أصدق أنك رأيتِ ما رأيت حتى لو كان أوهامًا. حقك أن تُذعري وحقك علينا أن نُطمئنك ونحميكِ.

قالت سهير وهي تناول نسمة علبة المناديل:

- اهدأي. هل تريدين أن أتحدث مع إيهاب وأطلب منه أن أعاين المنزل لتأكيد أو نفي ما رأيته؟

- لا! لا تتصلي به أرجوكِ. أنا فقط أريد هُدنة.. سأظل هنا يومًا و اثنين بعد إذنكما بالطبع. ربما أهدأ وأرى الأمور من منظور أدق. فقط لا تخبريه أنني هنا.

- ألم تقولي أنه يراقبك؟

- الكائنات تراقبني، وكلما كتبت شيئًا يخص هذا الأمر على هاتفي تُظلم الشاشة.. لذا.. فكرت أن أكتب إليكِ. أعرف أنهم قد يعرفون ما أكتب، لكني على الأقل أوصلت استغاثتي لك.

سألت رانيا:

- هل تعرفين هذا المُنتِج جيدًا؟ ذلك الذي قابلناه عندكم؟

- زارنا وزوجته أكثر من مرة. لماذا تسألين؟

- هذا الرجل ليس منتجًا ولا يوجد منتج بهذا الاسم.

أغمضت نسمة عينيها وتهاوت بظهرها إلى ظهر الأريكة وهي تغمغم:

- شكي في محله.. ربي.. بدأ إيهاب في التغيير منذ دخل هذا الرجل حياته لكني لم أربط بين هذا وذاك.. ماذا سنفعل؟

أجابت سهير:

- سنرتجل. حجرة شريف ابني خالية يمكنك وضع حقيبتك فيها. تناولي معنا الغداء ثم نفكر معًا. لا تقلقي.

***

لم تذهب سهير في الصباح التالي للستوديو، فاستيقظت متأخرة مرة أخرى لتسمع صوت طرقات بطيئة مستمرة. خرجت إلى الصالة لترى نسمة واقفة أمام «النيش» الذي يحوي أطقم الصيني والأكواب، تضرب رأسها في جانبه برفق وبطء.

- نسمة؟

لم تكف نسمة عن فعلها. مدت سهير يدها لكتفها وأدارت جسدها، فحدقت إليها نسمة بعينين بيضاوين تمامًا، ثم ضربت رأسها بنفس الإصرار والبطء برأس سهير. صرخت سهير ونادت على ابنتها وهي بعد متشبثة بجسد نسمة النحيل. خرجت رانيا متورمة العينين –أكانت تبكي طيلة الليل؟- ونظرت إلى نسمة في ذعر.

- نسمة؟! ماذا حدث؟

ثم انطلق صوت الطنين عاليًا، فنظرت نسمة إلى حجرة شريف ثم دفعت سهير نحو الأريكة وانطلقت تدخل الغرفة وتغلق بابها عليها. حاولت رانيا فتح الباب دون جدوى. صوت نسمة من الداخل تصرخ:

- حسنًا! ماذا تريد؟! لا أفهم!

صوت لطمة. صرخة. ثم همسات بصوت غير أرضي لم تسمع له سهير ولا رانيا مثيلًا من قبل. هرعت سهير تحضر هاتفها المحمول، وبيد مرتجفة بدأت تصوير ما يجري، بينما رانيا تحاول كسر مقبض الباب بمطرقة اللحم.

- هل ترين شيئًا؟

- لا شيء على الإطلاق! لا شيطان ولا شبح ولا أي شيء! ماذا بالداخل؟

- أمي! هل تشمين هذه الرائحة؟

والرائحة التي تقصدها رانيا لا تشبه الرائحة الكريهة التي تطلقها الشياطين لإرعاب البشر أثناء تجسدها، بل هي أقرب لرائحة كيميائية نتنة لا تُطاق.. الرائحة التي شمتها سهير في ملابس نسمة من قبل لكنها كانت أقل نفاذًا. سعلت سهير دامعة العينين وهي تصيح:

- نسمة.. ماذا يحدث عندك؟

نسمة تسعل.. صوت قيء.. انتحاب.. صمت. تدير رانيا المقبض في محاولة يائسة، فينفتح الباب كاشفًا عن نسمة واقفة أمام كومة عظام غريبة المنظر صفراء اللون، وسط قيء مخاطي تسبب في حرق كيميائي على البساط.

- سهير.. رانيا.. إنهم بداخلي.. لقد احتلوا جسدي. لم أعد أراهم أمامي، بل في انعكاس وجهي في المرآة. أنا هو ذلك الشيء.. ألا ترين هذا؟

نظرت سهير إلى عيني نسمة اللتين عادتا إلى لونهما الطبيعي، وإلى جسدها الملتف بالشال الذي لم تخلعه منذ جاءت، وقالت:

- نسمة، أنت طبيعية. أعني.. شكلك كما هو.. أما عن هذه العظام..

مدّت سهير يدها مغلفة بكيس سلة المهملات في الحجرة نحو العظام، لكن الكيس ذاب بمجرد لمسها للقطع المدببة المشوّهة. سحبت يدها سريعًا، فقالت رانيا:

- كيف تقيأتِ هذا يا نسمة ولم تتضرري؟

هزّت نسمة كتفيها وهي تنظر في حيرة إلى الكومة أمامها، ثم سعلت مرة أخرى وبصقت قطعة عظم صغيرة بحجم الضرس البشري.

- أقترح أن.. ماذا عن إجراء أشعة مثلًا لمعرفة..

قاطعت رانيا أمها هاتفة:

- لا أشعات من فضلك! هذه الأمور لا علاقة لها بالعلم والطب. كفى خلطًا! هذا الخلط نتاج رفضكم جميعًا تصديق أن ما لا ترونه موجود بالفعل!

- رانيا، أنت تعرفين رأيي في الأمن وأنا آخر من يرفض تصديق الماورائيات، لكن ماذا نفعل سوى الرعب وانتظار خطوة المخلوق التالية؟!

- نراقب نسمة، ولا نتركها وحدها أبدًا، وتبدأين التقصي الماورائي الذي درسته يا أمي!

هكذا، انطلقت رانيا إلى حجرة سهير وصعدت على مقعد صغير لتجذب صندوقًا من فوق الخزانة أمام عيني سهير المعترضتين وعيني نسمة الفضوليتين.

- رانيا.. هذا الصندوق..

- هذا الصندوق يحوي ما أنفقت فيه ما ادخرتِ من مال. هنا كاميراتك وأجهزة الاستشعار الضوئي وقياس المجالات الكهرومغناطيسية.. هذا هو العلم الذي نحتاجه. أمي.. عودي سهير زاهر التي يعرفها الجميع، والتي رفضت أنا نفسي وجودها يومًا ما. ساعدي نسمة وساعديني..

مسحت سهير دمعة تسللت من خلف إطار عويناتها وجلست على الفراش تفتح الصندوق وتُخرج كل أداة حلمت باستخدامها، ومنعها

ضيق الواقع عن حلمها.

أمسكت نسمة كل أداة وجهازٍ على حدة تقلبه بين يديها وتسأل سهير عن ماهيته وقد نسيت ما مر بها من هول منذ دقائق. لاحظت سهير هذا، فانتوت سؤال أحد أهل التخصص عن سلامة عقل ضيفتها أمام كل ما تواجهه، لكن مَن تسأل ولا يشكك في سلامة عقلها هي شخصيًا؟

بدأت سهير ورانيا على الفور في نقل الأجهزة إلى حجرة شريف -مسرح الأحداث الماورائية في الشقة- وتابعتهما نسمة في شرود وهي تتمايل في جلستها في الحجرة المقابلة. سمعت رانيا تناديها فلبّتها بخطى مترددة وهي تنظر إلى حيث تشير رانيا في السقف.

- ما هذا؟ ومتى ظهر؟

رفعت سهير رأسها عن الأسلاك التي توصلها بالقابس لترى حرقًا على السقف بصورة جسد مكون من عظام، يعلوه حرق جمجمة ذات أسنان مربعة متفرقة كأسنان التروس..

***

وقفت سهير ورانيا ونسمة ينظرن إلى السقف من فوق الفراش، ورانيا تحاول حك الرسم بسكين وهي تقف على سلم خشبي.

- يبدو كأنه.. لا أعرف.. حرق؟

التقطت سهير أكثر من صورة للرسم، ثم نزلت تتأكد من أن أجهزة

استشعار الحركة والحرارة وجهاز قياس النشاط الكهرومغناطيسي موصولة وتعمل. وضعت كاميرتها على حامل في ركن الغرفة، وثبتت كاميرا هاتفها المحمول إلى السقف.

- الكاميرتان تصوران ما يحدث باستمرار. سأحتاج فقط إلى تغيير بطاقة الذاكرة كل ثلاث ساعات. بالطبع أغامر أن تفسد بطارية الكاميرا وهي موصولة بالشاحن باستمرار هكذا، لكني أتعشم أن ألتقط شيئًا ينير لنا الطريق خلال الساعات القادمة.

اتجهت رانيا إلى باب الحجرة ممسكة بمفك، فأزالت المزلاج والمقبض والكالون تمامًا.

- معذرة يا نسمة لخرق خصوصيتك، لكن لا بد أن نمنع الباب من الانغلاق عليك، وإن كنت أقترح أن ينام ثلاثتنا سويًا في حجرتي أو حجرة أمي. هذا أكثر أمنًا.

غمغمت نسمة:

- لديك حق.

ثم شردت مفكرة وأضافت:

- لكن ماذا لو أن ما يحدث لن يتكرر لو لم أكن وحدي؟ لم يحدث أي من تلك الغرائب ومعي مرافق.

قالت مهين:

- إلا عرض الأفلام، أليس كذلك؟

- بلى.

- سنفهم بالتجربة ما حدود هذا الشيء، وماذا يريد.

أغلقت سهير باب الحجرة مضيفة:

- هل تودين الاغتسال يا نسمة وتبديل ملابسك؟ معك ملابس في حقيبتك، أليس كذلك؟

هزّت نسمة رأسها ودخلت الحجرة تخرج ملابسها، ثم تدخل الحمام. قبل أن توصده خلفها قالت رانيا:

- لا تغلقي الرتاج من الداخل.. في حال.. أنت تفهمين.

اتجهت سهير إلى المطبخ مشيرة إلى رانيا لتتبعها. جلست رانيا على مقعد أمامة المفضل، وحلّت ضفيرتها وهي تنظر إلى أمها إذ تهمس:

- عقلي سينفجر. ما هذه السرعة التي تجري بها الأحداث؟ أريد تنظيم تفكيري..

- الأمر قد تعقّد من قبل تدخلنا، نحن دخلنا الفيلم من منتصفه لذا نراه مُربكًا. الأمر بسيط، إيهاب والمنتج الغامض هذا متواطئان في تحضير هذه الكائنات.. نسمة كشفت الأمر بفضولها، لذا تتبعها هذه الأشياء للانتقام منها.

- ولماذا لم تنتقم منها حتى الآن؟ فوّتت عشرات الفرص لقتلها.

- ربما تسعى لدفعها للجنون؟

- أعتقد أنها نجحت في هذا، أنت لم تري ما كانت تفعله صباحًا. لكن، ماذا بعد أن تُجَن؟ لماذا لا يحاول حمايتها؟ لماذا تأثرت ابنتهما بهذا الكائن ورسمته رغم أنها تزعم أنه من وحي خيالها؟

أخرجت رانيا زجاجة زيت الزيتون من الخزانة وشرعت تدهن بها أطراف شعرها وهي تغمغم:

- يا لتقصُّف الشعر.. أعتقد يا أمي أن إيهاب.. ما رأيك أنه قد تعمَّد تحضير هذه الكائنات لتتلبس زوجته وابنتيه؟

أخذت سهير زجاجة الزيت من يد ابنتها ووضعتها داخل الخزانة مرة أخرى هاتفة:

- رانيا.. أتعرفين كم ثمن هذه الزجاجة؟! نحن متقشفتان الآن، ولا تجبريني على طلب مال من أبيك.

- لكنه يرسل مالاً كل شهر!

- وأنا أودعه حسابه في البريد.. لست طفلة كي ينفق عليّ.. وأنت كذلك.. ارضي بما معنا أو ابحثي عن عمل!

خرجت رانيا من المطبخ دون كلمة أخرى، فنادتها سهير تحاول أن تعتذر لها، حين سمعتا صوتًا من الحمام.

اقتربتا ببطء لتسمعا نسمة تهمس:

- ششش.. لا تتحركي أو تصدري صوتًا..

ثم صوت طفولي يبكي ويقول:

- أبي.. من هؤلاء؟

- ششش.. لا تتحركي أو تصدري صوتًا..

تتكرر الجملتان الحواريتان بنبرتين مختلفين على خلفية صوت الماء المنهمر من الصنبور. طرقت مهير على الباب برفق، لكن الحوار استمر. دفعت الباب ودخلت خطوة تحاول أن تغض بصرها عن المغطس ومن فيه.

- نسمة؟ هل أنت بخير؟

كلما اقتربت من المغطس، اقتربت من صوت الحوار. نظرت ببطء إلى نسمة الجالسة في المغطس بكامل ملابسها والماء يغرق ساقيها، تحدث نفسها بصوتين مختلفين، وتغير تعبيرات وجهها بسرعة مذهلة وهي تنتقل بين الشخصيات.

مالت رانيا على مهير وهمست:

- يبدو أن هذا هو ما حدث لها يوم مقتل أبيها. ماذا نفعل؟

- لا أعرف. هي لا تشعر بنا أساسًا. نسمة؟! نسمة؟

لم تشعر مهير إلا وهي تسقط نحو ابنتها الواقفة خلفها، وخدها يلتهب احمرارًا؛ نسمة صفعتها ثم صرخت خارجة من المغطس

تعانقها وتعتذر.

- مهير! ماذا فعلت؟! مهير آسفة!

قالت رانيا في حزم:

- لا تلمسيها.. اهدئي وابقي مكانك.

خرجت رانيا تلف ذراعها حول مهين فأدخلتها حجرتها وأجلستها على طرف الفراش، وركعت أمامها تتفحص خدها المحمر والعوينات ملتوية المفصل.

- هل أنت بخير؟ أمي.. هذا صعب، لكن.. ألا يجب أن نلجأ لمختص؟ أتذكرين كيف تدهورت حالة عمر وصار يعض الجميع وكاد يسلخ ساق شريف في مرة؟ هذه أعراض مس.. أعرفها جيدًا.. هذه الكائنات شياطين!

- ليست شياطين يا رانيا، وإلا لماذا لا تصورها كاميرتي؟ لهذا تركت الكاميرات تصور وحدها دون أن ألمسها، هذه ليست شياطين.

- ربما.. لكن هذه أعراض استحواذ واضح!

دق باب حجرة مهين ثم برز رأس نسمة المشعث، بعينيها الملتهبتين.

- مهين، أعتذر لك جدًا.. لم أكن أتصور أن يصل الأمر إلى هذا الحد.. أنا راحلة.

قامت سهير تمسك ذراع نسمة وتهتف:

- لقد أصبت بما هو أكثر يا نسمة بسبب هذه الكائنات، لن تكون بضع صفعات أكبر من فقدان حفيدي و.. المهم.. نحن معك.

- لهذا النبل ولهذا الشجاعة لن أمكث هنا أكثر. سأعود إلى بيتي وسأبحث أكثر عن سبب ما يحدث. ربما أطلب استشارتك في بعض الأمور، لكني لن أسمح لنفسي بإيذائك أكثر.

تملصت نسمة من سهير وجرّت حقيبتها خلفها متجهة إلى الباب. لم يمنعها من الرحيل أيّ مما قيل، ورفضت أن توصلها سهير حتى. وقفت رانيا وأمها في الشرفة تنظران إليها وهي تتجه إلى أول الشارع وتشير إلى سيارة أجرة. شعرها مهوّش، ملابسها مبتلة وتفوح بتلك الرائحة الكيميائية الثقيلة.

مرت ساعة أخرى لم تتبادل فيها المرأتان كلمة، ثم قامت سهير تجمع أدوات استقصائها الماورائي، وتلف البساط حول نفسه لتغسله، لتجد تحته أثر حرق في البلاط. لو أن أمعاء وفم نسمة لم تتأثرا بهذا القيء الكيماوي بمعجزة ما، فكيف لم تتأثر ملابسها بينما احترق البساط وما تحته؟ ربما لم يصبها منه شيء.

رفعت كتفيها في عدم اكتراث، ثم جذبت البساط إلى الخارج استعدادًا لأن تُنهك نفسها في غسله حتى المساء. شمّرت ساقيها وراحت تنقل الماء من الصنبور في دلو، وتصبه على البساط مع بعض الصابون..

هيرو.. دعي شريف ورانيا يغسلانها ولا تُنهكي نفسك..

ماذا لو قبلت تحويل برنامجها أو كتابها أو قصة حياتها نفسها إلى فيلم أو مسلسل؟ ألن يكفيها هذا شر تقلّب الأحوال والحاجة إلى المال؟ تُرى كم ثمن بيع تلك القصص؟ كم ثمن بيع حياتها؟

هيرو.. هل هذه أعراض مس فعلًا؟ السيدة تُكرر مشهدًا من صدمة مرّت بها في الطفولة.

تفرك أطراف البساط وهي تمسح عينيها في كُم منامتها، فتتلطخ عويناتها. ما جدوى غسيل بساط مثقوب؟ ما جدوى الأبسطة؟ ما جدوى الحياة؟!

قال زوجها يا هيرو أنها تعاني مشكلة نفسية ما. ربما عادت مشكلتها للظهور مرة أخرى بسبب.. لنقل انشغال زوجها؟ أزمة منتصف العمر؟ الفراغ بعدما كبرت ابنتاها؟

الزوجة دائمًا هي المخطئة.. هي المجنونة.. هي الفشلة.. هي التي تعاني ويلات الطلاق وحدها.. المزيد من الفرك، والمزيد من الماء، والمزيد من الدموع..

- ماما..

المكالمة الوحيدة التي تنتظرها لا تأتي. ماذا لو أتت؟ هي تعرف زوجها وتعرف أنها لن تأتي. تعرف أنه يتعذب لكنه لن يعتذر. أكثر من خمسة وثلاثين عامًا معًا وتعرف أنه يفضل الموت على الاعتذار. لكم باعت حياتها رخيصة.. كم تساوي حياتها على الشاشة؟ هل

ستشتري وقتها زيت الزيتون لرانيا وسترة جلدية جديدة لشريف؟

- ماما! الماء يخرج خارج الحمام! ماذا تفعلين بالله عليك؟! لقد ثُقب البساط وانتهى أمره!

- أجل ثُقب.. وانتهى أمره.. تخلصي منه يا رانيا..

تذكر أنك حملت رواية لاشين الزوجة أول من يعلم حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة.

قامت سهير مترنحة ودخلت غرفتها وأوصدتها، ثم تعالى صوت تحريك قطع الأثاث بالداخل. سهير تنقل طاقة غضبها كعادتها إلى التنظيف.

استندت رانيا إلى باب حجرة أمها وبكت دون صوت.

***

الفصل الثالث

لم تخرج سهير من حجرتها حتى المساء. اتصلت رجاء مرتين وردت عليها رانيا، تعللت أن أمها مصابة بـ..

- (دور برد بسبب المروحة).. ضاع صوتها.

- كم مرة طلبت منك أن تغلقي الشرفة ليلًا؟ لا أعرف سر حبك للمكالمات الهاتفية فيها.

زفرت رانيا وهي تهز ساقها في عصبية. لم تزد، ولم تحكي لخالتها ما حدث خلال الأيام القليلة الماضية. لا سعة في نفسها لتقبّل المزيد من التقريع.

في الحادية عشرة مساء خرجت سهير إلى الحمام، فباغتتها رانيا تمسك بكتفيها وتجبرها على الاستماع.

- ماما! كفاكِ هروبًا! أعرف أن ما حدث بينك وبين أبي أثر فيك، لكن.. حاولي تجاوز الأمر لأجل خاطري! أنا وحدي يا أمي! لا يشعر أحد فيكم بما أمر به؟! ابني مات! هل تفهمون؟! وها أنا أحاول حل مشاكل الجميع كأنني أنا الوحيدة التي لا تعاني شيئًا مما حدث. فقدت ابني، وأبي وأخي واستقرار عائلتي.. طليقي يلاحقنا بالتهديد. ماذا تنتظرون كي تعرفون أن هناك من تُدعى رانيا؟ عندما أموت؟!

ظلت سهير ثابتة في مكانها، لا يتحرك فيها شيء سوى دموعها. تركتها رانيا وأغلقت عليها باب حجرتها، ثم اتصلت بنسمة، لكنها لم ترُد.

سمعت بعد قليل صوت باب حجرة أمها ينغلق، فشعرت بغضب كاسِح. فتحت المتصفح على هاتفها مرة أخرى، وفي دفتر جانبي بدأت تكتب ما استنتجته مما حدث مع نسمة لتبحث عن مزيد من التفاصيل، وهي عادة اكتسبتها من تقليد أبيها وهو يضع الامتحانات ويحضّر محاضراته. أخيرًا توصلت إلى ثلاثة احتمالات

لا رابع لهم:

١- نسمة ممسوسة بكائن له علاقة بممارسة زوجها للسيمياء، لذا لا تلتقط وجوده كاميرات أمها.

٢- نسمة مختلة عقليًا، لكن ما الذي تسبب في الظواهر الغريبة التي رأوها في حجرة شريف ؟

٣- نسمة مختلة، وزوجها يمارس السيمياء وأثر عليها وعلى ابنة من ابنتيهما على الأقل.

الاحتمال الأخير هو الأقرب لها. لكن ما نوع الخلل النفسي الذي تعانيه نسمة؟

هل تتصل بأبيها؟ أسامة يتصل برانيا يوميًا ف مكالمة لا تزيد عن دقيقتين، فكيف ستسأله عن أمر كهذا دون أن تثير فضوله.. دون أن يتحدث معها أكثر مما يتحمل غضبها؟

ثم لاحظت أن ما تعانيه نسمة لا يختلف كثيرًا عما تعانيه هي نفسها بعد وفاة ابنها. رانيا تعيش تلك اللحظة التي رأت فيها جسد ابنها ممزقًا في ثلاجة الموتى بالمستشفى مرارًا. كل يوم تراه.. كل يوم تكتم صرخاتها وتردد لنفسها أن هذا لم يحدث.. إنكار.. تنادي عليه فلا يرد.. تغضب.. تشتمه لأنه لا يجيب نداءها.. ثم يعم الصمت، فتنزوي أمام التلفاز تنظر إلى الهاتف المحمول وتتساءل: لو اتصلت بلاشين، هل يمكن أن يعيده لي؟ هل يمكن أن يرسلني إليه؟ هل ثمة سحر يجمعنا معًا؟ ثم تتقبل حياتها وتبدأ في محاولة

الانغماس فيها.. وفجأة، ينهار أحد مَن حولها ويتشبث فيها، لكنها قشة، تغوص إلى القاع في ثوان.. هل أغوص؟ هل أغرق؟ كلا هذا لا يحدث.. إنكار.. غضب.. وحدة.. مساومة.. تقبل.. ثم غدًا بداية جديدة.

يبدو أن نسمة تعيش يوم مقتل أبيها.. تغضب فتضرب مَن أمامها.. تشعر بالوحدة.. تساوم وتطلب العون.. تتقبل وتحاول البدء من جديد.. ثم..

يدق جرس الباب، فترتدي رانيا إسدال الصلاة فوق البيجاما وتذهب لتفتح. جارتها أم معاذ أمامها ترتجف في إسدال مماثل، تثبت غطاء رأسه بدبوس ضخم من موضة القرن الماضي.

- رانيا.. والدتك هنا؟

- هي نائمة.. هل أنتِ بخير؟

- كلا! أعتقد.. أعتقد أن هناك شبحًا في شقتي!

***

قبل أن تمسك سهير هاتفها، رن مرة أخرى برقم لا تعرفه.

- آلو.. سهير زاهر؟

- مَن؟

- عيسى عبد الحميد، جار أستاذ إيهاب ومدام نسمة في (الكومباوند). أعتذر عن الاتصال في هذا الوقت اندلع حريق في

منزل أستاذ إيهاب وبمجرد أن لاحظت الدخان هرعت إلى هناك، لكني وجدته قد خمد لحسن الحظ لا يوجد أحد في البيت، يبدو أنهم هربوا لكني وجدت هاتفًا محمولًا ملقى أمام البناية وآخر رقم مسجل عليه رقمك

- آيفون ذهبي؟

- نعم. باقي الأسماء المسجلة في سجل الاتصال أسماء تدليل. احرجت بصراحة أن أتصل بأي منهم.

- هذا هاتف نسمة..

سألته سهير إن كانت الشقة مفتوحة، فأكد عليها هذا، ثم أضاف أن هناك رائحة كيميائية غريبة يبدو أنها سبب الحريق. شكرته سهير وأخبرته أنها..

- سأتصل بزوجها حالًا. شكرًا لك..

- اتصلت به بالفعل عدة مرات والهاتف غير متاح.

بعدما أنهت سهير المكالمة، أمسكت رانيا كفيها في رجاء وهتفت:

- سنتركها؟! ترى ماذا حدث لها؟! هل تخلص منها هذا الشيء؟ لاحظي أن زوجها أخذ ابنتيه وهرب. لا بد أن هذا ضمن مخططه للخلاص منها!

- رانيا! اهدأي! لماذا يتخلص منها أساسًا؟

- ربما تورط في أمر وكشفته.. ماذا سنفعل؟

- نتورط مثلها فيكشفنا؟!

- ماما! ماذا حدث لك؟ هذه امرأة وحيدة في خطر! تخيلي لو لم نذهب.. لو عاد إيهاب وزعم أنها هربت من الحريق وأفلت بفعلته؟ الشرطة لن تصدق أي شيء مما حدث بينهما من قبل.

جلست سهير على الأريكة تفرك عينيها إرهاقًا. هل تسافر الآن إلى القاهرة في رحلة تجاوز الثلاث ساعات في طريق زراعي مليء بسيارات النقل تحفه الأراضي الزراعية الموحشة على الجانبين؟

صوت وصول رسالة واتساب يوقظها من شرودها. جار نسمة أرسل لها بضع صور للرصيف أمام المنزل. الصور تبين في ضوء فلاش الكاميرا أثر جن على جانبية آثار عظام متتالية وكفوف طويلة الأصابع. اتصل الجار مرة أخرى وصاح في هلع:

- هل ترين هذا معي؟! أنا لا أهلوس؟ أي شيء يترك هذا الأثر؟

أرادت سهير أن تخبره أن هذا أثر كائن تسحب جسده ذراعاه الطويلتان ذات الأربعة مفاصل، لكنها غمغمت في النهاية:

- حاول ألا يُمحى هذا الأثر حتى أصل. أنا في الطريق.

***

لحقت سهير موعد آخر قطار من طنطا إلى القاهرة في الحادية عشرة والنصف مساء. لو لم تلحقه لاضطرت للانتظار حتى الصباح

فتسافر بسيارتها بعد انقشاع الشبورة المائية على الطريق الزراعي. أوصلتها رانيا بسيارة مهين، ثم عادت لتتابع أي مستجدات تطرأ على البيت أو شقق الجيران. أسندت مهير رأسها إلى نافذة القطار وهي تسمع مهاب يصيح عبر الهاتف:

- لماذا تعاملينني بهذه الطريقة يا أستاذة؟! أنا لست مجنونًا كي تخشي عليّ التأثر بهذه القضايا، ولست خطرًا كي تخافي مني!

- مهاب.. مهاب.. أنا مرهقة بالفعل. كل ما في الأمر أنني لم أرغب في توريط أي شخص في الأمر.

زفر مهاب في ضيق، وأكد عليها أنه سيقابلها في محطة القطار بسيارة أجرة ليذهبا معًا إلى القاهرة الجديدة. أغلقت مهير الخط وهي تراجع ما قاله مهاب عن هذا الكيان.. لا يوجد في ذاكرة مِهر –الكيان العتيق- ما يطابق هذه الوصف. لم ولن يوجد كائنات مشابهة على الأرض.

هيرو.. أنت متأكدة أنه لا وجود لهذا الكائن. مهاب أكد لك هذا.. ذاكرتك وكتاب البلهان على ما فيه من تخاريف أكدا ذلك.

لكنها رأته هي وابنتها. الكائن موجود وانتقل من شقة نسمة إلى شقتها ثم إلى شقة جارتها.

هيرو.. لا أريد أن أضايقك، لكن.. هل تثقين في هذا الجار إلى حد السفر إلى مكان مقفر كهذا ليلًا؟ لنفكر بمنطقك، ما أدراكِ أنه ليس متورطًا في الموضوع؟ لماذا لم يتصل بالشرطة ويخلي مسؤوليته؟

تنغلق عينيها وتفقد وعيها لدقائق. الإرهاق والأرق والحزن و.. كل شيء يدفعها للنوم.. للهرب..

هيرو.. عودي إلى بيتك وأبلغي الشرطة. هذا أفضل ما يمكنك فعله لمساعدتها، والصباح رباح.

تعرف سهير أن كل لحظة تمر قبل أن تذهب لنجدة المرأة ستفرق في مصيرها. كل لحظة أنكروا فيها ما يحدث لعمر ساهمت في مقتله الأليم. كل دجال أوهم عائلة مهاب أن عمرو «ممسوس» بجان! لا أكثر ساهم في مصرعه. ثم.. مهاب سيكون معها، أليس كذلك؟

يردها اتصال من رانيا، صوتها يكاد يصل إليها من دون هاتف.

- ماما! الشيء.. الشيء يسيطر على درج العمارة! صوت الطنين مزعج للغاية!

- أين هو بالضبط؟!

- في المدخل. لا يجرؤ أحد على النزول! ماذا يريد هذا الشيء منا؟!

تهز سهير رأسها في حيرة. كل هذه التفاصيل تتخم عقلها. تطلب من رانيا أن يجتمع أكبر قدر من السكان في شقة أو اثنين على الأكثر لتقليل الخطر على أن توافيها بصور أي مستجدات.

السيمياء.. محاولة السيطرة على كيانات علوية.. محاولة الارتقاء للتحول إلى كيانات علوية..

نسمة تقيء عظامًا.. الكائن مكون من عظام.. نسمة تقول أن الكائن يحتلها، ترى انعكاس صورته في مرآتها.. هل تتحول نسمة إلى هذا الكائن؟! هل جزّت نسمة نفسها مغادرة البيت بعدما أحرقته ظنًا منها أنها قد تنجو من التحول؟

هل عادت نسمة بعدما تحوّلت إلى منزل سهير وتحاول إبلاغهم أمرًا بوجودها في المدخل؟ هل هي من حاولت الدخول من النافذة؟! تتصل سهير برانيا مرة أخرى وتهتف:

- رانيا.. استجمعي شجاعتك وانزلي إلى أقرب ما تستطيعين من المدخل وتكلمي مع هذا الكيان باعتباره نسمة..

- ماذا؟! أنا أنزل؟! مستحيل!

- لا تخافي يا ابنتي. هل تذكرين الأشباح التي ترينها بركن عينك طيلة الوقت؟ أنت نفسك قلتِ أنها مسالمة وتريد إخبارك بشيء، لكنك لا تجرؤين على التواصل معها. ماذا لو أن نسمة تحتاج إلى من يسمعها؟ ماذا لو أن الكائن الذي ظهر لها في حجرة شريف هو إيهاب أو إحدى ابنتيها؟!

***

كان مهاب في انتظار سهير خارج المحطة، يقف جوار سيارة أجرة ويحمل حقيبة ظهر ويبدو عليه الوجوم.

- أستاذة.. حمدًا لله على سلامتك.

- سلّمك الله. ماذا بك؟ ما زلت غاضبًا مني؟

- أبدًا.. هل يغضب المرء من أخته؟

فتح لها باب السيارة فركبت. ظلا صامتين، لكن استمرت الرسائل بينهما كي لا يثيرا شكوك السائق.

كتب لها مهاب:

- «كل شيء متسق نوعًا مع تفسيرك، لكن.. الفيلم؟ ما معناه؟ وما هي الكائنات التي حاول إيهاب التحول إليها؟ أرى أنه قد تورطت بشكل ما وخرجت الأمور عن سيطرته، إلا إذا كان ينتقم من زوجته بالفعل لسبب لم تذكره، لذا تركها وحدها وسافر مع ابنتيه وأغلق هاتفه. أميل إلى خروج الأمر عن سيطرته، خاصة مع ما يحدث في بنايتك.»

- «هل تعتقد أن الجار متورط في شيء؟ يحاول استدراجي لأنني.. أعرف أكثر من اللازم مثلًا؟ أشعر أنني حمقاء بحق! رانيا أيضًا تؤثر في قراراتي بقوة وتدفعني للتخبط.»

- «لقد عانت الكثير. عمومًا لا تقلقي يا أستاذة. معي سلاح مهدي أبركان. أخذته من لاشين بعد مغامرة الأردن، تحسبًا لأي ظرف ما ورائي.»

لم يخبرها مهاب أنني أعطيته هذا السلاح وأكثر كي يحمي سهير متى طلبت مساعدته. أعرف أنها لن تطلب مني شيئًا، وأعرف أنها

وحيدة.. وأعرف أنني لن أتخلى عنها مهما تظاهرت بالابتعاد.

***

الفصل الرابع

ارتدت رانيا بنطالًا وقميصًا طويلًا، وعقصت شعرها، وتسلّحت بمصحف صغير ومطرقة اللحم. ألقت نظرة أخيرة على مظهرها في المرآة المجاورة لباب الشقة، وفكرت إن كانت تحتاج معدات أكثر. ماذا عن نظارة واقية؟ سكين؟ حبل؟

فتحت الباب. صوت القرآن يغطي على صوت الطنين. بعض الجيران يقفون عند أبواب شققهم. يُصفع أحد الأبواب في وجهها. جار في الطابق الثاني ينظر إليها وهي تنزل الدرج ويهتف في اشمئزاز:

- ما أصابنا ليس سوى نتيجة أفعالكما المُنحلة أنتِ وأمك. لا عجب أن الرجل المحترم طلقها، ورحل الشاب المهذب بلا رجعة. ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

رفعت رانيا المطرقة ليراها جيدًا وصاحت:

- لم أسمع برجال شرفاء يختبؤون خلف الأبواب ويتركون المُنحلات في مواجهة الخطر.

- هذه نتيجة أفعالكن.

ثم يغلق بابه ويستمر في الغمغمة. تحاول رانيا تمالك أعصابها،

لكن ضغط الرعب والغضب يدفعانها لتهشم العين السحرية لباب الجار بالمطرقة وهي تصيح:

- هذا كي تراقبنا بوضوح أكثر

الضوء الأخضر يشع بوضوح من بئر السلم. ترى رانيا المرآة التي ثبتتها أم معاذ حديثًا في المدخل على سبيل التجديد، وترى انعكاسها فيها وهي تهبط آخر درجات الدرج.

المدخل مظلم تمامًا، طويل، مقسوم بثلاث درجات. على اليمين عدادات المياه وموتور أزرق ضخم لدفع الماء إلى الأدوار العليا. الدخان ينبعث من مكان ما، ويخفي الكائن العظمي الذي يقف أمام البوابة.

- نسمة؟ ه.. هل هذا أنتِ؟ أنا رانيا.. هل تريدين أن تقولي لي شيئًا؟ حاولي وسأفهم..

دقات قلب رانيا تتزايد. ساقاها لا تحملانها. تجلس على الدرج أمام المرآة وتردف:

- أعرف أنك مرتعبة.. أعرف كيف يهلع المرء وهو يتحول إلى كائن آخر قرأ لي أبي مرة رواية عن شاب تحول إلى صرصور، ولم يحمل هم شيء بعدها إلا الكيفية التي سيذهب بها إلى عمله. الإنسان قادر على التكيف مع أعنف المتغيرات يا نسمة. عمر كان صغيرًا للغاية عندما استحوذ عليه شيطان الرعب بالكامل، لكنه كان يحاول. أعتقد أن محبتنا له منعت تحوله بالكامل. آدم لاشين كذلك قاوم

وأعتقد أنه يتحسن رغم أن أحد مكونات جسده شياطين.. حرفيًا!
الخلاصة يا نسمة.. قاومي.. تذكري ابنتيك.. أصدقاءك.. لا يوجد أي رد فعل من الكائن الذي يتحرك ببطء أمام البوابة. قامت رانيا واتجهت فاردة ذراعها نحو الكائن وهي تهمس بصوت مرتجف:

- لا أخاف منك مهما تغير شكلك. لم أخف يومًا من عمر.. أنا أعرف ما تعانيه..

فجأة، انطلق الكائن نحو رانيا وهو يزأر فتراجعت تصرخ، وصعدت الدرج على أربع، مذعورة حتى من النظر إلى الخلف. بمجرد أن وصلت إلى الطابق الثاني، انطفأ الضوء الأخضر وساد الصمت. جلست متكورة في الركن جوار دلاء القمامة تبكي وترتجف، وتهمس:

- آسفة يا عمر.. آسفة يا حبيبي..

***

رحلت السيارة الأجرة، ووقف مهاب أمام البناية ينتظر أن تنهي سهير مكالمتها لابنتها.

- رانيا منهارة. كانت فكرة فاشلة..

ثم نظرت سهير إلى أعلى نحو مهاب فارع الطول وقالت:

- مهاب.. لو وجدتني أتخذ أي قرار أحمق امنعني. لا أعرف ماذا دهاني.

ابتسم مهاب وهز رأسه، ثم تقدمها إلى العلامات المحفورة على الرصيف. بدت بالضبط كأثر الحرق فوق فراش شريف. أشار مهاب إلى الجهة التي استمر إليها زحف الكائن، والأثر يخفت تدريجيا حتى انقطع عند نهاية الرصيف.

-لا بد أنه خرج من المنزل إلى هذا الاتجاه.

ثم سار بضع خطوات إلى المدخل، حيث الأثر أكثر وضوحًا. باب الشقة المطل على الشارع مفتوح، محترق. القاعة الواسعة مظلمة تفوح برائحة غريبة. زجاج الواجهة غائم، لكن لا يستطيع أي منهما تبين تفاصيل أخرى دون الدخول. خطا مهاب إلى الداخل أولًا وسهير من خلفه تحمله كشافه اليدوي بيد والهاتف مفتوح الكاميرا بيده بينما يشهر مهاب سلاح مهدي الناري.

ضوء الكشاف يعجز عن إبادة الظلام بالكامل. الساعة تقترب من الثالثة فجرًا، ولا زال النهار بعيدًا. تمسح سهير القاعة سريعًا بالضوء في البداية، ثم يوجهها مهاب إلى الركن الأيسر أولًا، والأكثر تضررًا بالحريق.

- يبدو أن الحريق بدأ من هنا.

اقتربا من مدخل المطبخ الأمريكي المفتوح على القاعة. بعض الأوعية على الأرض، و..

- مهاب.. لماذا فتحت نسمة كل الأوعية بهذه الطريقة؟ أوعية الطبخ وأوعية الحفظ والعلب الزجاجية في الثلاجة.

- عمّ كانت تبحث بالضبط؟ حتى الخزائن مفتوحة..

أشارت سهير إلى مرطبان قهوة زجاجي مفتوح، ومحتوياته على المنضدة وهمست:

- مهاب.. قرّب مني هذا المرطبان.

أمسك مهاب الوعاء وأفرغه تمامًا، ثم حدق إلى أثر الكف العظمية طويلة الأصابع المطبوعة حوله.

- ليس حوله يا مهاب.. ليس حوله.. الأثر من الداخل!

مسح مهاب الأثر من الداخل بإصبعه فتلوث بمادة دهنية بيضاء. كالمجنونة راحت سهير تحرك الكشاف في أرجاء المطبخ، تتبع آثار الأكف متعددة المقاسات والجماجم الباسمة المرعبة مطبوعة على أبواب الخزائن من الداخل، وعلى الطناجر والأغطية المتناثرة.

نقلت سهير الضوء إلى زجاج الواجهة (الممزق) تمامًا مثل مرآة حجرة شريف. قال مهاب:

- هل هذا أثر مخالب هذا الشيء؟ يبدو أنه يكره الأسطح العاكسة.

- يبدو أنه يكره أن يرى تحوله إلى مسخ. ربما هذه الخمشات من فعل نسمة نفسها.

- إن كانت نسمة قد تحولت، لماذا لم تستجد لرانيا؟

- لا أعرف.. لدي تفسيرات لسلوكها لا يتسع لها مرجع من مراجع

أسامة في علم النفس.

وقفت الكلمات في حلقها، فلاحظ مهاب توترها.

- لنفحص هذه الحجرات أولًا.

حجرة النوم الرئيسة لم يمسسها سوء، وكذلك حجرة الفتاتين والحجرة الإضافية. الممر المؤدي إليهما لم يتأذ. بدا لهما أن الحريق لم يطل إلا القاعة من جهة الدرج المؤدي إلى القبو. نزل مهاب درجتين ثم سمعا صوتًا من يهتف من الخارج حاملًا مسدسًا:

- أنتما! قفا!

التفت مهاب نحوه ولم يُنزل سلاحه. نور الشارع القادم من خلفه يغطي ملامحه، لكن سهير ميزت الصوت الشاب الغليظ فهتفت:

- أستاذ عيسى؟ أنا سهير زاهر صديقة نسمة.

أنزل الشاب سلاحه وتقدم منهما. صافح مهاب الذي ظل مرتابًا يتفحصه بدقة، ثم صافح سهير.

- معذرة. ذهبت لجلب شيء من شقتي ورأيت نور الكشاف من الخارج فظننتكما متسللين. ما نوع هذا السلاح يا.. لم أتعرف بك.

- سلاح ناري وكفى. لماذا لم تبلغ الشرطة وتعد إلى بيتك وينتهي الأمر؟

- أبلغتهم! لا أعرف لماذا لم يصل أحد حتى الآن! انظروا..

وعرض على شاشه هاتفه المحمول اتصالين برقم النجدة. عقد مهاب حاجبيه في شك ثم سأله:

- هل أنت معتاد على حمل سلاح في تحركاتك اليومية؟

- لدي مزرعة خاصة، وسلاحي مرخص. ماذا عن سلاحك؟ يبدو أنه يدوي الصنع..

- عمومًا لقد أديت واجبك تجاه جيرانك. يمكنك أن ترتاح الآن.

- ماذا ستفعلان؟ وما هذا الأثر بالخارج؟

زفرت سهير ثم قالت:

- هل تسمع عن برنامج بعد منتصف الليل؟ إن لم تسمع به، فأنا سهير زاهر خبيرة أشباح وماورائيات، وصديقة صاحب المنزل المفقودة. ابحث في جوجل على راحتك، واتركنا الآن نتابع عملنا.

تراجع الشاب خطوة إلى الخلف وهو يغمغم:

- ما ورائيات! هذا يعني أن الأثر...

قاطعه مهاب:

- شبح.. شيطان.. جني.. كلها أمور لن تناسب صاحب مزرعة بالتأكيد.

نظر عيسى إلى السلاح في يد مهاب مرة أخرى ثم خرج. تابع مهاب النزول إلى القبو –واضح أنه ليس قبوًا كما يتصوره قراء روايات

الرعب - وسهير خلفه تنير الطريق. شهقت وهي ترى أثر التدمير في المكان حريق سوّد الجدران.. آثار أكف تزحف على السقف.. المقاعد الوثيرة أمام شاشة العرض ممزقة.. باب الستوديو مخلوع.. الشاشة محطمة كأن..

- مهاب.. كأن شيئًا خرج من الشاشة.

- انظري المقاعد أيضًا.. خشب القاعدة والظهر مكسورون إلى الخارج..

سلطت سهير الضوء على الباب المخلوع، ورأت الأثر الدهني على خشبه البني الداكن. أثر من الداخل. تذكرت سهير كيف انقلبت أوعية جارتها فجأة، ثم ظهر الكائن. ماذا يعني التشابه؟

رأت مهاب ينظر إلى النافذة الرفيعة التي يغطي عرض الحائط من أعلى، وتطل على الشارع الجانبي.

- مهاب؟

- هذا الشاب.. لا زال بالخارج.

- اسمع صوته من بعيد. مع من يتكلم؟

- لا صوت سوى صوته. لا بد أنه يهاتف أحدًا. سأصعد وأحاول غلق الباب. لا يجب أن نترك ظهرنا مكشوفًا.

ثم أخرج خنجرًا من خناجر مهدي من تحت سترته الثقيلة وأعطاه لسهير مردفًا:

- إن اقترب منك أي شيء اطعنيه بقوة ثم اسحبي الخنجر. لا تتركيه وإلا تركتِ لمهاجمك سلاحًا إضافيًا.

لم ينتظر سماع اعتراضها، وصعد سريعًا. قبضت على الخنجر، وتركت الكشاف جانبًا لتستخدم هاتفها في التصوير والإنارة في وقت واحد.

مشت بضع خطوات إلى حيث الحمام الصغير الذي قالت نسمة أنه ظهر في الفيلم الذي اختفى. الزجاج المصنفر مهشم، المرآة ممزقة، الحوض مليء بقطع العظام والسائل الحارق كريه الرائحة. خرجت إلى الستوديو. الأجهزة سليمة لكن لا يصلها تيار كهربي مثلها كمثل الشقة كلها. الباب الذي يفصل أجهزة الستوديو عن حجرة التسجيل مفتوح، وفي الداخل جهاز لابتوب، تحته ورقة مطوية.

أخرجت سهير الجهاز وبحثت عما يمكن الجلوس عليه فلم تجد سوى أريكة جلدية سليمة. فتحت الورقة وقرأت:

«نسمة.. الحبيبة التي تخليت عنها، لمصلحتها..

دون خوض في تفاصيل لن تهم أحدًا، فهذه ليست رواية من رواياتي، أقول لك أنا آسف ونادم، وأستحق أن أحرم من كل أحبائي، لكن ليت الأمر يتوقف عند هذا الحد.

ما ترينه حقيقي.. الفيلم حقيقي.. شيميائيل ومَن معه حقيقيون، بل إنني صرت شيميائيل، وباء يحول البشر بالتدريج إلى هذه الكائنات الممسوخة التي تعيش في مكان يسمى «المختوم». هذا

المكان يتولّد في أي مكان مغلق حتى لو كان علبة كبريت، ولا يُفتح أو يُرى ما بداخله إلا عن طريق المفتاح الأعظم، ذاك الذي دسّه آخر من كان شيميائيل قبلي وسط كتب زعم أنها كتب صوفية، ستساعدني على السمو الروحاني والعقلي. أنت تعرفين أنني أكره الخمور والمخدرات، وكنت أتوق طيلة حياتي لتحرير عقلي أكثر. حتى اليوجا لم تكن كافية كي أستطيع إطلاق خيالي إلى أقصى حد، وعيش حيوات لم ولن أعيشها، ونقلها إلى الروايات.

مع طقوس المفتاح الأعظم التي ظننتها طقوسًا صوفية عادية.. مجرد ذِكر قديم لا أعرف معانيه بدقة، بدأت الأحلام تراودني، ورأيت فيها لمحاتٍ من ماضي مقربين مني، منها لمحات من ماضيكِ أنت يا نسمة. ثم فكّرت، لماذا لا أساعدك في رحلة شفائك وأصنع فيلمًا عن صدمتك القديمة وأخبرك أنني أعرف ما تمرين به بدقة، كي تكفي عن لومي، واتهامي أنني لا أشعر بما تعانيه؟ بدأت في الإعداد للفيلم، وكنت أفقد الوعي أثناء الإعداد له ومعاينة أماكن التصوير ثم.. وجدت الفيلم جاهزًا بحوزتي ولا أتذكر شيئًا عن تصويره. شاهدته مرارًا، خاصة المقدمة التي يظهر فيها كائن يمد يده من خلف ستار.. كيف صورت هذا المشهد قبل تشطيب الشقة؟! ثم لمسني هذا الكائن عبر الشاشة، وانفجرت الأخيرة. أعتقد أنك تتذكرين هذا اليوم وظننتِ أن ما حدث ماس كهربي أو شيء مما يفجر الأجهزة فجأة.

بعدها بأيام بدأ التغيير. لم أعد أشعر بشيء تجاهك، وسيطرت علي

فكرة غريبة؛ لا بد أن تصيروا مثلي كي نجتمع كأسرة مرة أخرى. كنت أقيء عظامًا، وأرى جسدي دون سيطرة يفرقها في أنحاء البيت. كنت واعيًا يا نسمة داخل جسد يتصرف كما يشاء. كنت مستمتعًا.

خلال فترة وجيزة رأيت ابنتينا تتحولان.. تزورهما الكوابيس.. ترسمان وتمثلان ما تتذكرانه.. أعتقد أن غريزة الأبوة لدي أكبر من حبي لك –سامحيني مرة أخرى- وبحثت عن فرص للشفاء، وعثرت على فرصة واحدة، فاخترت أن أحاول مع ابنتينا.

سامحيني يا نسمة أو لا تسامحيني.. أنا رجل ورطه طموحه. كل ما أريدك أن تعرفيه أن الأمر لن يتوقف، وسيتسع «المختوم» حتى يشمل عالمنا كله. مَن ورطني مات قبل أن يصل إلى الحل، وبدأت أنا من بعده، وعرفت مما ترك ما قد يساعدك على الهرب لأطول فترة ممكنة..

لا تبقي وحدك أبدًا.

لا تمكثي في مكان مغلق أو فيه أي شيء مغلق ولو حتى علبة، كما قلت لك، المختوم يغزو عالمنا ولم يعد الأمر محدودًا بغرف مغلقة فقط. احرقي أي شيء يحاولون الخروج منه حاولت إحراق الشقة لكن شيماليل منعني.

لو بدأت تقيئين عظامًا، لا تتركي بقايا العظام خارج هذا الشقة.

قد تنتابك لحظات تسيطر فيها الكائنات عليك، فتنسين أو تتخلين

عن الحذر وهذه هي المشكلة الكبرى. كل التعليمات السابقة لن تفلح لو استولوا عليك.

لو تحوّلت، اهربي إلى أي مكان مفتوح لا يراك فيه أحد وامكثي في العراء أطول فترة ممكنة. لا أعرف ماذا قد يحدث وقتها، لكن أظن أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي قد يموت بها هذا الكائن.

لن أخبرك بالمكان الذي سافرنا إليه حتى لا يتحكم فيك ساكنك ويتبعنا. سيختار المعالج واحدة من ابنتينا، أما الأخرى فسأصحبها إلى أعالي الجبال فنمضي هناك ما يشاء الله لنا أن نمضي، وحتى يقضي الله في أمرنا.

سأكتب لك كلمة السر الخاصة بأجهزتي، اطلبي المساعدة من سهير زاهر أعرف أنك تثقين فيها.

أحبك يا نسمة.. سامحيني..»

وضعت سهير الخطاب في جيبها لتفكر فيه لاحقًا مع مهاب، وفتحت اللابتوب فانفتح دون كلمة سر ورأت صورة عائلة عز الدين خلفية للأيقونات القليلة. هناك ملف يبدو مخطط سيناريو فيلم. الوصف على اليمين يخبرها أن الفيلم يدور في القبو قبل التشطيب، وشقة نسمة القديمة، ومشرحة. إذًا الفيلم حقيقي، لكن إن كان إيهاب قد زعم أنه لم يخطط لتصوير قبو البيت، فلماذا ذكره في السيناريو؟

الشاشة المحطمة بالخارج تضيء. تخرج سهير على ساقين

راجفتين وتقترب منها. تسمع صوتًا مألوفًا.. صوت غناء زار.

صوت ضربات تهوي على باب المنزل الخشبي الخارجي..

***

يدور مهاب حول المنزل بحثًا عن الجار المسلح. أين ذهب؟ يراه يسير عند بناية مجاورة وهو يتحدث في الهاتف. يرى مهاب فيشير له محييًا ويقترب منه.

- هل توصلتما لشيء؟

- أين شقتك؟

- خلف هذه البنايات، لماذا تسأل؟

- لماذا تتسكع خارج البيت ولم تعد إليها؟

- هذا شارع عام يا أستاذ. ما كل هذه الريبة؟ أنتما من تثيران الريبة أكثر مني. ما هذا السلاح أمامًا؟

ظل مهاب يحدق إليه كما تعلّم من ذكريات مهر. ارتبك الرجل بحق، وغمغم:

- أنا أعرف إيهاب وزوجته منذ عامين تقريبًا. أعرف أن الأمر مريب خاصة مع تصرفات الرجل الأخيرة.

- أي تصرفات؟

أشعل عيسى سيجارة، ونفث الدخان ثم قال وهو يمسح رأسه

الحليق:

- أعرف أن كتاب الرعب غريبو الأطوار. أقرأ كتاباته وكنت وبعض أصدقائي من قرائه نراهن على أنه يتعاطى شيئًا. هذا الخيال الجامح ليس طبيعيًا! بالصدفة عرفت أنه اشترى شقة هنا. لو أتيت معي إلى شقتي لعرفت أنها ترى هذه البناية من بعيد. ما أثار ريبتي منذ فترة طويلة الضوء الأخضر الذي يشع أحيانًا من الشقق الخالية في البناية، لكني كنت أقول لنفسي ما لي ومال الناس؟ هم أحرار. لعلها حفل أو شيء مما ينغمس فيه العاملون في السينما.. أنت تفهم؟

تذكر أنك حملت رواية لاشين الزوجة اول من يعلم حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة.

- أكمل.

حكى عيسى عن حلقات ذِكر كانت تُقام في الحديقة، ورآها لا تتناسب مع حياة المشاهير ولا مع قلة التدين الظاهرة على كتب وأفلام إيهاب عز الدين.

- متى كانت آخر مرة رأيت فيها نسمة؟

- صباح اليوم. رأيتها تخرج من سيارتها مترية مغبرة، ترتجف بردًا.

- تحدثت معها؟

- لا. دخلت المنزل قبل أن أتحرك نحوها.

- أين كنت وقتها؟

- لماذا تستجوبني؟! أنت رأيت ما حدث ولا يمكن أن تتهمني أنني الفاعل! اعتبرني أترصد بالمشاهير يا أخي. هل كنت لتفعل غير ذلك لو أن كاتبك المفضل جارك؟ أنا أستغل وقت مراقبة أعمال التشطيب في متابعة ما يجري هناك!

هز مهاب رأسه وقبل أن يعود أدراجه، أمسك الرجل ذراعه وقال:

- أقترح أن تتصل بالنجدة من رقمك. لا أعرف لماذا لم يصلوا. هذا غريب.

وافقه مهاب، لكن الرجل استوقفه مرة أخرى وهتف:

- هل تريد أن أعود معك؟ سلاحان خير من سلاح واحد..

- شكرًا. نحن بخير..

- أتعرف.. في مرة دعاني إيهاب و..

- سنتحدث لاحقًا.

الشاب غارق في العرق رغم البرد. عيناه زائغتان، ينظر إلى الشارع من خلف مهاب وهو يتحدث كأنه ينتظر شيئًا. فكّر مهاب في أن يضغط عليه أكثر للاعتراف بما يخفي، لكن سهير وحدها.. يجب أن يعود.

أسرع مهاب الخطى نحو منزل آل عز الدين، وتبعه عيسى يلهث وتصطك أسنانه.

- يا أستاذ.. معي كشاف طوارئ في السيارة. انتظر حتى أحضره..

التفت مهاب نحوه وهتف بصوت كاد ليوقظ الحي لو أنه ماهول:

- قف مكانك ولا تتبعني. مفهوم؟

هز الرجل رأسه في طاعة تتناقض مع عضلاته المكتنزة. خطر في بال مهاب أن هذا الشاب يخشى شيئًا، وهناك ما يمنعه من الاشتباك معه. هل هو الخوف؟ هل يعرف عن البيت ومالكه ما لم يبح به؟

دفع مهاب الباب الخارجي لكنه لم يُفتح. هناك من أزال المقعد الذي وارب به مهاب الباب. طرق عدة مرات، ثم بدأ يضرب الباب بكتفه.. وفي غضب، صوب سلاحه نحو القفل.

صاح عيسى:

- لاتطلق! يا ربي! ماذا أفعل! انتظر يا أستاذ مهاب.. سأوضح لك..

***

ارتمت رانيا على فراش شريف، تشم رائحة عطره مختلط برائحة نسمة المنفرة. ماذا تفعل أمها الآن؟

تحدق إلى النقش على السقف، ينيره المصباح المتدلي بالقرب منه.

شيء يلمع عند رأس المخلوق، شيء ناتئ يلقي ظلًا لم يظهر في

ضوء النهار ولا من الفحص السريع السابق. صعدت رانيا على السلم الخشبي ومدت يدها على أقصاها لتلتقط بين أظافرها قطعة بلاستيكية رقيقة أشبه بغلاف ملف شفاف. القطعة تناسب تمامًا النقش المفرغ على قرن الكائن.

هرعت إلى الحمام تفرش البساط المحترق. الثقب واضح بعدما غسلته أمها. الثقب محدد بلا رذاذ منتشر حوله. أي أم تعرف بدقة شكل بقع القيء والرذاذ المتناثر حوله في اتجاه بعيد عن جسد الطفل. هذا الحرق ناتج عن صب سائل كيماوي بحرص على البساط.

عندما جاءت نسمة قالت أنها ستمكث يومين معهما.. لماذا أحضرت معها كل هذه الحقيبة الضخمة ولم تستخدم منها شيئًا؟

لكنها رأت الشبح.. الجارة رأته وأحرق بساطها..

كن رد فعل ابني أم معاذ كان غريبًا. ما كل هذا الهدوء واللامبالاة؟!

الرسم على السقف مطبوع باستخدام ورق (استنسل) مفرغ. الدخان.. الدخان الذي يظهر مع ظهور الكائن ويخفي تفاصيله. هذا دخان مما يُستخدم في الحفلات والأفراح، ألِفته رانيا عندما كانت تحضر مع أمها تصوير حفلات الزفاف.

الصدف أكثر من اللازم، والثغرات تتسع. تهرع رانيا لتتصل بأمها..

***

على الشاشة ترى سهير مشاهد قصيرة جدًا متلاحقة لحفل زار تعرفه جيدًا.. ترى ذهبية الكودية تغني، الرجال يضربون الدفوف.. مشهدًا لماء يغلي تتقافز منه الأسماك.. شموع طويلة تهوي فوق رأس الكودية..

هذه ذكرياتها..

تيتة!

تلتفت سهير إلى الخلف، فترى عمر خلف دخان كثيف، يقف عند الحمام الصغير

سهير!

تلتف مرة أخرى، فترى أسامة يبتسم.. صورة شبحية معلقة وسط الدخان..

صراخ ذهبية، نداء نسمة يتردد: «اهربي يا سهير! لا تبحثي عني!»

تهتف سهير بأعلى صوت وهي ترفع الخنجر أمامها:

- مهاب! أين أنت!

صوت ضربات تهوي على الباب الخشبي الخارجي ثم تتوقف. يتجسد الكائن العظمي وسط الدخان ويهمس بصوت أحاط بها من كل جانب بلغة لا تفهمها.

- مهاب!

تتراجع سهير إلى الستوديو رغمًا عنها إذ يتقدم الكائن منها أكثر ويقول بالعربية:

- أنا نسمة يا سهير.. أنا هنا أفضل.. لقد تخلى عني حب عمري.. فقدت واحدة على الأقل من ابنتيّ.. طاردتني أشباح الماضي واتهامات الجنون طيلة حياتي.. لكني الآن أفضل.. المختوم هو الراحة والحماية..

ثم يظهر وجه نسمة مكان جمجمة الكائن، تصرخ:

- لا تصدقي يا سهير! أحرقي المنزل.

هاتف سهير يرن، اتصال من رانيا. الكائن يقترب وسهير تتراجع. صوت طفل يبكي.. عمر؟ أين هو؟! صوت طلقة رصاص..

تهوي سهير على الأريكة الجلدية وصوت أسامة يتردد في عقلها:

- هيرو.. العقل يا هيرو.. الترابط.. المنطق.. صدماتنا تعمينا عن رؤية الحقيقية. هل تتذكرين الانحياز التأكيدي؟ دراستك يا سهير.. دكتور لويد وقواعد التقصي..

قواعد التقصي.. لا تتقص وحدك.. لا تتقص في الظلام.. لا تتقص موقفًا يضغط على خبرة أليمة سابقة لديك.. لا تنحز لرأي أو تفسير تحت ضغط إيمانك الشخصي..

- ماما! هناك من يخدعنا! اخرجي من عند حالًا!

قبل أن تنهض سهير تجد الأريكة تقبض عليها، كأن بداخلها وحشًا

يحاول ابتلاعها.. الشيء يخرج من الأريكة كما خرج من مقاعد السينما!

تصرخ، وتلقائيًا تغرس نصل الخنجر في الأريكة فينكسر، تسحبه فترى مفصلًا حديديًا يتحرك بلا انقطاع.

الدخان يتزايد. تمزق سهير مسند المقعد كاشفة عن المزيد من التروس. الأريكة عبارة عن آلة مصممة لتقبض على الجالس عليها. تقف سهير، وصوت رانيا لا ينقطع.

- ماما.. هذا مقلب أو انتقام.. كل هذا ليس حقيقيًا.. الدخان مثل الذي في حفلات الزفاف. الحرق ليس قيئًا..

تهوي سهير على الكائن وسط الدخان بالخنجر، فتعبر يدها خلاله.

- يا أستاذة! لا تخافي! تعالي.. أنا هنا..

تسير وراء صوت مهاب حتى تراه عند السلم وعيسى خلفه باسمًا. تُضاء القاعة ويختفي الكائن ويسكن الضجيج. من خلف عيسى ينزل إيهاب ونسمة يصفقان في إعجاب.

- سهير! برافو! حقًا أنتِ بطلة بكل ما تعني الكلمة من معنى.

تنظر سهير لمهاب متسائلة، فيقول في غضب:

- هذان خدعانا يا أستاذة.

قال إيهاب وهو يربت على كتف مهاب:

- ليست خدعة، بل نوعًا جديدًا من الأفلام لم يسبق تنفيذه من قبل. مزيجًا من الأفلام التسجيلية وتليفزيون الواقع والتجارب النفسية وبرامج المقالب.

هتفت سهير:

- كل هذا تم بدون موافقتي! سأقاضيكم!

قالت نسمة وهي تقترب من سهير في حذر:

- لك الحق في أي شيء، لكنني راهنت أنك ستتفهمين ما فعلنا، لذا كنتِ البداية، ولن نذيع أي شيء ما لم توافقي كتابيًا. اعتبريها مساعدة لنا كما كنتِ تظنين بالضبط.

نزل رجلان يحملان أربعة مقاعد فجلس الجميع وإن ظل إيهاب واقفًا أمام الشاشة.

- كتب إدجار آلان بو «لا تصدق كل ما تسمع، ولا نصف ما ترى». هذا ما أصنع من أجله هذه السلسلة من الأفلام. لم يكن العثور على منتج يتحمس لفكرة بهذا التعقيد سهل. أنت تعرفين يا أستاذة سهير أثر الخرافات وتأثير الانحيازات في تفسير أي ظاهرة. هذا ما يؤدي دائمًا إلى قيادة الشعوب عن طريق الشائعات، وإثارة الفضول لتشتيتهم عن التفاصيل الأهم.

أنت يا أستاذة مثال ممتاز على الشخص الذي درس أصول الاستقصاء الماورائي، وتأثر بعلم النفس وحيل العقل، لكنه لم يستطع أن يفلت من حيلة مصممة بعناية لتقوده إلى استنتاج

خاطئ.

قالت نسمة:

- جاءتنا الفكرة عندما قرر إيهاب مساعدتي بفيلم من إخراجه وتأليفه عن صدمة طفولتي. الحقيقة أن التجربة لم تكتمل، لكنها أخرجتني من نوبات الاكتئاب وغمستني في مشروع مشترك استطعت فيه إخراج قدراتي التمثيلية، واستطاع إيهاب أن يكتب شيئًا مجنونًا بذل فيه مجهودًا خرافيًا لتصميم الحيل التي تناسب بنيتك النفسية أنت ورانيا. كان هناك جزء مكتوب في حال قرر شريف العودة في أي وقت.

- احتاج تنفيذ هذا الفيلم إلى عمل مستمر خلال الستة أشهر الماضية. كنا نفرغ كل تفصيلة من برنامجك وصورك في المعارض وما ذُكر في روايات لاشين كي نعرف بدقة من هي مهين وكيف تطورت شخصيتها.

- بعض التفاصيل زدناها خلال الشهر الماضي، مثل الضغط نفسيًا عليكما لمساعدتي استنادًا على صدمتكما في وفاة عمر.

هتف مهاب من بين أسنانه:

- أنتما وغدان! تتاجران بحزن جدة وأم؟!

قال إيهاب باسمًا في هدوء:

- ولماذا لا تقول أننا واجهناهما بنقاط ضعفيهما التي تقيدهما إلى الماضي؟ هل تعرفان كم قضية كانت ستتعامل معها الأستاذة بناء على ضغط صدمتها؟ كم مرة ستصدق أن هناك شخصًا ممسوسًا دون تقص كاف لأنه يمثل لها حفيدها؟ العلاج بالصدمة الكهربية يا أستاذ مهاب أرحم من الجنون.

- أنت لست طبيبًا! أنت تاجر.. جزار!

غمغمت سهير في حزن:

- انتظر يا مهاب. لديه حق. أعترف لك يا نسمة ببراعة التمثيل وسرعة البديهة. هل ثبتما كاميرات في شقتي؟

أجابت نسمة بسرعة:

- لا بالطبع! لم يُصور شيء إلا من خلال الدبوس الذي كنت أضم به شالي، لذلك لم أغير ملابسي. لك أن تتوقعي بالطبع أن الحقيبة كانت تحوي كل ما احتجت لخلق الوهم البصري والسمعي من وراء الباب المغلق.

- وأم معاذ؟

ضحكت نسمة ثم قالت:

- لن تصدقي كم تحمست للاشتراك في الموضوع. كانت تعتبره مقلبًا للسخرية منك ولم تقتنع أنه فيلم أو تجربة عمومًا المال يغير كل شيء، وقد عوضناها عن بساطها ومطبخها يبدو أن جيرانك

يحبونك يا سهير لكن لم يكن أحد يعرف منهم موضوع الفيلم سواها والأستاذ نبيل الذي رفض الاشتراك لكنه قبل أن يصمت ريثما نُتِم عملنا لم نكن نحتاج إلا لجار واحد على أي حال! ركبت أم معاذ مرآة خلفها كاميرا في المدخل، لتصوير رد فعل الجيران على ظهور الشبح. لو لاحظتِ فالمرآة تغطي جزءًا من باب حجرة البواب المهجورة، حيث كان يختبئ رجالنا ومعدات الخدع. لم ينزل أحد سوى رانيا. كان مشهدًا عظيمًا أبكاني.

لمحت سهير نظرة صدق في عيني نسمة. سألت:

- يبدو أنكم زرتم المبنى مرارًا وعرفتم كل تفاصيله. ماذا عن مشاهد الزار؟ وعمر؟ وأسامة؟

أجاب إيهاب:

- عمر وأسامة والكائن هولوجرام متطور، لذا لم يظهرا في منزلك لأنه يحتاج إلى معدات كنت ستلاحظينها حتمًا كانت الفكرة كلها هي استدراجك إلى هنا حيث كل الإمكانات. لكننا لم نتصور قط أن يأتي أستاذ مهاب معك، ولم نتصور أنه سيحضر سلاحًا! المفترض أن عيسى، أو ممدوح عوني الممثل الشاب، سيؤدي دور الجار المرتعب ويقودك عبر أرجاء المنزل لتمري بأغلب مشاهد الرعب فيه، وصممنا عدة مسارات تناسب أغلب ما قد يستجد لكن لسوء الحظ فسدت الخطة.

أضافت نسمة:

- أما مشاهد الزار فمصنوعة بالذكاء الصناعي. صورك الفوتوغرافية سجلت تفاصيل ممتازة. لو لاحظت، صوت دهبية مختلف عن الحقيقة، وكذلك صوت عمن أما صوت أمامة فلدينا عينة ممتازة منه من البرنامج. كتبنا له مشهدًا معك يذكرك بقواعد التقصي وعلم النفس وما إلى ذلك.. كان يهدف إلى لقاء بينكما لن يتم، لعله.. لعلكما تفكران في العودة لبعضكما.

قامت سهير تبحث عن حقيبتها وهي تغمغم:

- برافو.. فكرة رائعة.. تنفيذ ممتاز.. لن أقاضيكم، لكن لن يُعرض هذا الفيلم.

وقف إيهاب أمامها وهتف:

- أستاذة! الفيلم سيكون نقلة على كافة المستويات!

ثم فرد أصابعه وأضاف:

- نقلة في أفلام الرعب، وفي السايكودراما والعلاج النفسي.. نقلة في..

- إيهاب! لن يقبل أحد الظهور في عمل قد يدمره نفسيا واجتماعيا! كيف توقعتما أن أعرض ما يورطني أكثر في دور معتنقة التخاريف التي قتلت حفيدها؟! كيف سيرى الناس ابنتي؟

- سيعرف الجميع أنكما بطلتان!

- مخبولتان! أنت لا تعرف شيئًا عن الناس خارج إطار مجانين الفن

الذين تجالسهم. ثم.. ما لكم ومال علاقتي بأسامة؟! تتلاعبون بي كي أعود إليه؟!

قالت نسمة:

- أقسم لك أن هذا ليس تلاعبًا! أنا أحبك يا سهير بحق، وكل من يحبك يعرف أن عودتك لأسامة هو الخير لكما. كل ما تريدان هو جلسة صراحة!

صعدت سهير الدرج واندفع مهاب خلفها وهي يسدد نظرات نارية نحو إيهاب وزوجته كي لا يتبعاهما. بمجرد أن ابتعدا عن البناية، تهاوت سهير جالسة على الرصيف وراحت تبكي.

- مهاب.. أفتقد عمر.. أفتقد أسامة..

تذكر أنك حملت رواية لاشين الزوجة اول من يعلم حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة.

***

الفصل الخامس

وصل سهير مندوب من شركة الإنتاج السينمائي بحقيبة بها مائة ألف جنيه، تعويضًا عن الخسائر المادية والنفسية، ومحاولة لشراء موافقتها على عرض الفيلم.

تربعت رانيا أمامها على الفراش وبينهما المبلغ. قالت سهير:

- ما رأيك؟ هذا الفيلم بطولة مشتركة.

- محمد طليقي ميقاضينا.. لكنه قاضانا على كل حال. على الأقل ميكون معنا ما نوكل به محاميًا.

- وأمامة؟

- أنت كنت تمارمين عملك الذي كنت تمارمينه في وجوده.

- وشريف؟

- هذا الحقير لا حق له في الاعتراض أصلًا.

- هذا يعني أنك موافقة على عرض الفيلم؟

حلّت رانيا ضفيرتها وقامت إلى المطبخ هاتفة:

- دعيني أمتخدم بعض زيت الزيتون ومأصنع لك الشاي باللبن، ثم نفكر.

***

زار مهاب مهير في الستوديو، وتحدثا عن الأمن وكان من رأيه أن تأخذ المال تعويضًا ولا توافق على العرض.

- هذه خصوصياتك يا أمتاذة، ولا نعرف الضرر الذي قد يأتي من عرض الفيلم، لكننا نعرف يقينًا أنك لن تتضررين من عدم عرضه. الحقيقة يا أمتاذة لست مطمئنًا..

- مهاب، ألم تسأل طبيبتك عن موضوع الارتياب المتزايد الذي

تشعر به؟

- ليس ارتيابًا يا أستاذة، ولا أنكر أن هذا تأثير مهن من يعرف تاريخ البشرية من وجهة نظر كائن يكرههم لا بد أن يأخذ الحذر. ربما كان موضوع الفيلم حقيقيًا، وربما إيهاب صادق.. لكن.. من ينفق كل هذه الأموال على أفلام غالبًا لن تُعرَض؟! أنت غالبًا سترفضين، فمن قد يكون التالي؟ طبيب مخ وأعصاب ونفسية يقنعونه أن المس موجود؟ كاتب رعب آخر مؤمن بالخوارق؟ من منهم سيوافق على العرض؟ ولو رفضوا، من أين لهم بأشخاص آخرين يجريون معهم؟

قام مهاب يذرع الستوديو في ضيق ويكمل:

- اسمعي يا أستاذة.. لقد زعموا أنهم جمعوا معلومات عنك من كتابك ولوحاتك ومن البرنامج وسلسلة الروايات.. عظيم.. هل لأي شخص آخر معلومات متداولة ومعروفة للجميع غيرك؟ غيرنا؛ كل من تورط مع لاشين؟ بالطبع لن يكرر والتجربة معي أو مع حسن أو دكتور أسامة. ثم مسألة الجرأة المريبة في الارتجال.. ماذا لو كشف أحدهم معدات الخدع في مدخل العمارة؟ ماذا لو كنت قد قتلت الجار؟ ماذا لو أننا طلبنا من لاشين التدخل أو سألناه فقط عما يحدث؟

حدقت سهير إليه في ذهول وقالت:

- هل تعني..

- ربما يكون إيهاب ونسمة بريئان.. أو خاضعين لتعويذة أو سلطة

كائن من تلك الكائنات. أين هذا المنتج الغامض ولماذا كان يستجوبك هو زوجته؟ رأيي يا أستاذة أنها كانت تجربة نفسية متطورة لاختبار تسكين كائن ما وسط البشر أو في أجسادهم، أو أيًا كان.. لاحظي أنك تملكين قدرات باراسيكولوجية أنت ورانيا وشريف.. هدف واضح مغرٍ للاختبار والتجارب. ربما كان الكائن فضائيًا لذا لا يعرف مهر عنه شيئًا، وليس مذكورًا في كتاب البلهان. خذي حذرك يا أستاذة.

- هل تظن أنهم سيطاردونني؟

- إمم.. لو كان الأمر قسرًا لفعلوها ونحن هناك معهم، أو مع رانيا وهي وحدها. خذي حذرك واتبعي ما كتبه إيهاب في الرسالة التي تركها لزوجته. لا أعرف كيف كانت ستخدم هذه الرسالة أحداث الفيلم، لكن لن يضر وضع ما فيها في الحسبان رغم أن ما فيها مرعب بحق.

- ولا يمكن تطبيقه يا مهاب!

- لقد خضنا ما هو أصعب يا أستاذة. نحن جميعًا معك. سأصل لشريف وسأعرف كيف أجبره على العودة.. هذا الطفل (القفاص)، لا تؤاخذيني يا أستاذة!

ضحكت سهير مهمومة، ووعدها مهاب أن يمكث في المحلة بعض الوقت ليكون قريبًا منها في حالة جد جديد.

بعد رحيله، شعرت سهير ببرودة مفاجئة، فتدثرت بالسترة أكثر

وهي تحاول منع نفسها من الاتصال برجاء وحكي كل شيء. كنت متجسدًا في ركن الستوديو القصي، أحاول منع نفسي بدوري من التصفيق إعجابًا بصغيرتي الشجاعة. كنت مستعدًا للتدخل في أي لحظة بعدما عادت إلى قوى الانتقال بعد تعرضي لدماء الكُتبا -وإن كنت عاجزًا بعد عن نقل شخص آخر- لكن ما جدوى التدخل لإفساد كل متعة في حياة صغيرتي؟ لست أمامة، ولست أباها، أنا ملاكها.. أو لنقل، شيطانها الحارس لا أكثر .

اقتربت خطوة واحدة أكثر لأراها جيدًا، فالرؤية الشيطانية من بعيد غير الرؤية بعيني البشريتين. التفتت نحوي فاختفيت. ضيقت عينيها وقامت تبحث حيث كنت واقفًا.

- لاشين؟ أنت هنا؟ أعرف أنك هنا! ألم نكن قد ارتحنا من موضوع التجسد هذا؟!

ثم جمعت حاجياتها ورحلت وهي تقول بصوتها المرح عبر الهاتف:

- ريجوا لن تصدقي ما حدث! لن أحكي لك ما لم تأتي لتعيشي معنا مرة أخرى..

وتركتني وحدي في الظلمات، أحدق إلى صورة أمامة وعمر. ترى هل سيقبل إيهاب بعلاجي من سهير عن طريق أفلامه؟!

****

تمت